نوادر الندماء وطرائف الخلفاء

الكتاب: نوادر الندماء وطرائف الخلفاء

المؤلفين: أ. د جاسم ياسين الدرويش

أ. م. د عادل إسماعيل خليل

الطبعة الأولى: ٢٠١٦

تصميم الغلاف: أمينة صلاح الدين



طباعة . نشر . توزيع

دمشق/ جوال: ٠٠٩٦٣ -٩٤٤٦٢٨٥٧٠

Email: akramaleshi@gmail.com
Fecebook:Dar Tamoz

نوادر الندماء وطرائف الخلفاء

تأليف

أ. د جاسم ياسين الدرويش
كلية التربية للعلوم الإنسانية

أ. م. د عادل إسماعيل خليل
كلية الآداب جامعة البصرة

بسم الله الرحمن الرحيم

{ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً. يَا وَيْلَتى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً. لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جاءَنِي وَكانَ الشَّيْطانُ لِلْإِنْسانِ خَذُولاً }.

صدق الله العظيم

سورة الفرقان: ٢٧- ٢٩.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على الهادي الأمين ، سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وأصحابه الغر المحجلين ، ومن سار على نهجهم واتبع أثرهم إلى يوم الدين.

شهدت الدولة العربية الإسلامية تطوراً تاريخياً وثقافياً مع تقدم الزمان ، فقد حرص الرسول(ﷺ)على بناء مجتمع عقائدي تسوده القيم والمثل الأخلاقية الكريمة ، وسار الخلفاء الراشدون على هدي النبي(ﷺ) في تكملة البناء وإقامة المؤسسات على وفق ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، إلاّ أن عملية الفتوح وانتقال العرب الفاتحين إلى الأمصار للاستيطان فيها ، أدى إلى حصول العديد من التغييرات في البنية الاجتماعية والنفسية والثقافية لاسيما في العصرين الأموي والعباسي ، ويبدو أن انفتاح المسلمين على حضارات الأمم الأخرى ، واختلاط العرب بالأعاجم ، وحصول عملية الامتزاج الثقافي ، فضلاً عن تكدس الأموال في بيت المال ، ما دفع البعض من الخاصة إلى الميل نحو حياة الترف والنعيم ، واتخاذ أسلوب جديد في الحياة شعاره الحضرية والمدنية ، ودفع هذا الأمر إلى الإكثار من الندماء من الرجال والإماء ومن كل الأصناف ،

وإلى تلون الحياة الاجتماعية بألوان المدنية الجديدة في مختلف نواحيها ، والتي بهرت الإنسان البدوي وطارت بعقله وشغلت لبه فلم يسعه إلى أن يغترف منها ما استطاع ، تلك الحياة الصاخبة التي لم يألفها العربي في صحرائه القاحلة من قبل.

وإن سبب اختيارنا لهذا الموضوع لما له من أهمية وصدىً في العديد من كتب التراث العربي والإسلامي والذي يعكس الوجه الآخر لرجالات السياسة وأصحاب النفوذ وما يجري في القصور وحدائق التنزه من مسامرات تُطرح خلالها ألوان مختلفة من فنون المعرفة بدءاً بمجالس الوعظ وانتهاءً بالغناء واللهو والطرب ، ويمكن من خلال تلك التوجهات التعرف على الموازين الشخصية للملوك والخلفاء من جدٍ وحزم أم لهوٍ وهوى ، فضلاً عن العمق التاريخي لهذه الوظيفة فهي موجودة عند الأمم المجاورة العرب كالفرس واليونان والرومان وعرب قبل الإسلام.

كذلك فإن النديم والجليس هم بطانة الحاكم ، وما لهم من تأثير كبير على سياسة الدولة ووضعها الاقتصادي فضلاً عن تأثيرها المباشرة على الحياة الاجتماعية سلباً أم إيجاباً ، فرئيس الدولة إن كان ندمائه وجلسائه ركبوا جادة الانحراف ، فلا يراعوا في الرعية والشعب إلاً ولا ذمة ، يبيعون دينهم بعرض بخيس من الدنيا ، لا يهمهم سوى رغباتهم وشهوات الغي في بطونهم وفروجهم ، تجردوا من الحياء ، وتركوا الورع و مخافة الله عز وجل وراء ظهورهم ، ولن يكونوا على قدر من المسؤولية في تقديم المشورة الصائبة والحكمة الحسنة والنصيحة السليمة للحاكم ، من تذكيره بالأمانة التي أودعها الله في رقبته ، وأنه سوف يسأل عنها يوم القيامة ، قال تعالى: **{ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ}** (1) ، وقال

---

١ - **سورة الصافات ،٢٤.**

النبي (ﷺ): "كلكم راعٍ، وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راعٍ وهو مسئول عن رعيته... فكلكلم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته"[١]، لذلك اكتنفت سني حكمهم بالسلبيات والأخطاء، والظلم والطغيان، وضياع الحقوق والحريات، لرضوخهم لرغبة الندماء وجهالة الجهلاء، وترك منادمة الفضلاء، وأصحاب الرأي العقلاء، مما أخفقت عندهم الهمة، وضاعت مقدرات الأمة، وطمعت الأعداء بهم، وذهبت ريحهم، ووهنت قوتهم، وضعفت دولهم، ولذلك كان أثر هؤلاء الندماء على الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية والثقافية كبيراً جداً، وإن كانت الأخرى فالجليس والنديم الصالح التقي الذي لا يخاف في الله لومة لائم نراه يكون مفتاح للخير مغلاق للشر يعودون بالحاكم إلى جادة الصواب كلما وجدوا إلى ذلك سبيلا.

ونظراً لما لهؤلاء الندماء من تأثير على الماكنة الإدارية لأي نظام سياسي وما يتركه من آثار حسنة أو سيئة، نسلط الضوء لمعرفة بعض أخبارهم ونوادرهم وطرائف الخلفاء معهم، حتى سنة ٣٣٤هـ، وذلك لأن البويهيين الذين دخلوا بغداد في هذه السنة وأقاموا إمارة وراثية لهم وسلبوا الخليفة العباسي معظم صلاحياته "فاضطربت أحوال الخلافة ولم يبق لها رونق ولا وزارة وتملك البويهيون وصارت الوزارة من جهتهم والإعمال إليهم"[٢]، فكان الخليفة الراضي بالله(ت ٣٢٩هـ) آخر من جلس للندماء[٣] لأن خليفته المتقي لله(٣٢٩-٣٣٣هـ) كان ميالا إلى الزهد والتعبد وضاقت به الدنيا بسبب اضطراب الأوضاع وعندما حاول الفرار إلى مصر اكتشف أمره وأودع السجن[٤] فلم يكن له الوقت لمجالسة الندماء ومسامرة الجلساء.

---

١ - ابن حنبل: المسند، ٥/٢؛ البخاري: الأدب المفرد، ص٩٩؛ مسلم: الصحيح، ٧/٦.

٢ - ابن الطقطقى، الفخري، ص٢٨٨.

٣ - الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ١٤١/٢ ؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٢٨٣.

٤ - السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٢٨٥.

الفصل الأول

الندماء صفاتهم وسماتهم

المبحث الأول: الندماء لغة واصطلاحاً

المبحث الثاني: صفات الندماء وسماتهم

الندماء لغة واصطلاحا

النَديم لغة: مأخوذة من النَدم ، وهو التوبة[١] ، ونادمني فلان على الشراب فهو نديمي وندماني ، وجمع النديم ندام وجمع الندمان ندامى ، وامرأة ندمانة والنساء ندامى[٢] ، وقيل هو جليس الشراب[٣] ، وقد يكون النديم المصاحب والمجالس على غير شراب[٤].

وفي ذلك يقول الشاعر[٥]:

زرنا أبا زيد ولا حيٌّ مثله   وكان أبو زيد أخي ونديمي

وقيل: نادمه على الشّراب مُنادمة ونُداماً ، وتنادموا عليه ، والتنادم: هي المنادمة على الشراب[٦] ، وهو نَديم وندمان ، قال البرج بن الجلاس الطائي[٧][١]:

١- الجوهري: الصحاح، ٢٠٤٠/٥ ؛ ابن سيده: المخصص، ٢٠٧/٣.

٢- الجوهري: الصحاح، ٢٠٤٠/٥.

٣- ابن عباد: المحيط في اللغة ،٣٥٢/٢؛ الزمخشري: أساس البلاغة ،٢٦٠/٢؛ ابن منظور: لسان العرب ،٥٧٣/١٢.

٤- ابن سيده: المخصص، ٢٠٧/٣.

٥ - ابن منظور: لسان العرب ،٥٧٣/١٢.

٦ - الرازي: مختار الصحاح ،٣٠٧/١؛ الزبيدي: تاج العروس ،٤٨٧/٣٣.

٧- البرج بن الجلاس الطائي أحد زعماء طيء ورجالاتهم قبل الإسلام شرب خمراً فوقع على أخته أخته وافتضها فلما صحا جمع قومه وأخبرهم وحذرهم من افتضاح أمره، وبعد مدة أخبرت

ونـــدمانٌ يزيـــدُ الكـــأسَ طيبـــاً　　　ســـقيت وقـــد تغـــوَّرتِ النجـــومُ

ومن ذلك سمي النديم نديماً لأنه يلازمك المجلس[٢] ويرافقك ويشاربك[٣] وفي ذلك قال الشاعر:

نعـــم النّـــديم نـــديم لا يكلّفنـــي　　　ذبـــح الـــدّجاج ولا ذبـــح الفـــراريج

يكفيه لونان من كشكٍ ومن عدسٍ　　　وإن يشـــاء فزيتـــون بطسّـــوج[٤]

ثم توسع في المعنى فاستعمل في كل مسامرة[٥]، وقيل اشتق من الندم، لأن الشريكين يكون من أحدهما بعض ما يندم عليه[٦].

أما النَديم اصطلاحا: هو فرد من عامة الناس لديه مواهب ومؤهلات، ونوادر وقفشات يلازم مجلس الخليفة أو الملك أو الأمير أو أي شخص آخر له مكانة ومنزلة في قومه، يشاركه الشراب والحديث والمسامرة، ويكون عنده من المقربين والمفضلين بحسن المعاشرة، لمزاياه المحبوبة وخصاله المطلوبة، إذ يُسر سيده بوجوده، ويساء لغيابه ورقوده، ويكون مستودع أسراره، ومن عنده خبره بمكامن أفكاره، لا يستغن عنه في حضره وأسفاره، وهو منه بمثابة الطبيب، ووجوده سلوى للكئيب.

أمة= =منهم الحصين بن الحمام المري فعيره، ولما رأى افتضاح أمره هرب إلى بلاد الروم ولم يعرف له خبر. ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ٣٤١/٨.

١- الطبري: جامع البيان ،١٣١/١؛ أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ١٤/١٤.

٢ - الرازي: مفاتح الغيب، ١٦٠/١١.

٣ - أبو السعادات: النهاية في غريب الحديث، ٣٦/٥ ؛ ابن منظور: لسان العرب، ٥٧٣/١٢.

٤ - ابن عبد ربه: العقد الفريد، ٢٣٦/٧ ؛ الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء، ٧٤٠/١.

٥ - الزبيدي: تاج العروس، ٤٨٦/٣٣.

٦ - الحميري: شمس العلوم، ٦٥٤٠/١٠ ؛ وقيل إنما سمي النديم نديماً لندامة جذيمة الأبرش حينما قتل مالكاً وعقيلاً الذين أتياه بعمرو ابن أخته، فسألاه أن يكونا في سمره، فوجد عليهما فقتلهما، ثم ندم، فسمى كل شارب نديماً. الشيباني: شرح المعلقات السبع، ص٦٠.

المبحث الثاني

صفات الندماء وسماتهم

إن للندماء من الصفات والسمات ما شجعت الملوك والخلفاء والأمراء على تقريبهم ومجالستهم ومنادمتهم ومؤاكلتهم وملاعبتهم ومعاقرة الشراب معهم ، فدفعت تلك الخصائص بهم للميل نحوهم لمؤانستهم ومفاكهتهم وقضاء معظم الأوقات معهم ، ومن هذه الصفات أن يكون جميل المحيا ، حسن المعشر ، حلو الكلام ، أديباً نظيفاً ، كتوماً حفيظاً ، لطيفاً خفيفاً ، ظريفاً طريفاً.

لذلك يقول المهلب[1]: العيش كله في الجليس الممتع[2].

وفي ذلك يقول الشاعر[3]:

ونديم حلو الحديث يجاريك بما تشتهيه في ميدانك

ألمعيٌّ كأنَّ قلبَكَ في أضلاعه أو كلامه بلسانك

---

١ - هو أبو سعيد المهلب بن أبي صفرة ظالم بن سراق بن صبح بن كندي بن عمرو بن عدي العتكي الأزدي، رأى عمر بن الخطاب t ، ولم يرو عنه، وكان من القادة العظام، اشتهر بقتاله للخوارج، ولي خراسان، توفي بمَرو الروذ سنة ٨٣هـ. ابن سعد: الطبقات ،١٢٩/٧؛ النووي: تهذيب الأسماء ،١١٧/٢؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ،٥ /٣٥٠ ؛ النويري، نهاية الأرب، ١٢٧/٤.

٢ - المبرد: الكامل ،١٩٠/١؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد ،٢٦٧/٢؛ الآبي: نثر الدر ،٤٦/٥.

٣ - كشاجم: أدب النديم، ص ٨.

ومن نافلة القول ظهور الندماء على المسرح السياسي والاجتماعي لما لهم من حضور وحظوة عند الخلفاء والملوك وفي هذا قالوا: "وليس أحد من أصحاب الملوك ولا من خلطائهم هو أولى باجتماع محاسن الأخلاق وأفاضل الآداب وطرائف الملح وغرائب النتف من النديم ، حتى أنه يحتاج أن تكون فيه أشياء متضادة ، فيكون فيه مع شرف الملوك تواضعُ العبيد ، ومع عفاف النسَّاك ، مجون الفُتَّا ، ومع وقار الشيوخ مزاح الأحداث وكل واحدةٍ من هذه الخلال هو مضطر إليها في حالٍ لا يحسن أن يُخلَّ بها ، ووقت لا يسعه العدول فيه عنها ، وإلى أن يجتمع له من قوة الخاطر ما يفهم به ضمير الرئيس الذي ينادمه على حسب ما يتلوه من خلائقه ، ويعلم من معاني لحظه وإشارته ما يُغنيه عن تكلف عبارته فيسبقه إلى إرادته ويبدره إلى شهوته"[1]

ومما ينبغي للنديم أن يكون كريم المعدن فاضلاً وسيماً نقي المذهب حافظاً للسر نظيف الملبس عارفاً بكثرة للأسمار والقصص والنوادر هزليها وجدِّيها ، حسن الرواية يعرف لكل مقام مقاله ، مجيداً للعب النرد والشطرنج وحبذا لو أنه يجيد الغناء[2].

وقالوا في صفته: "كاتب الرجل لسانه ، وحاجبه وجهه ، وجليسه كله"[3] ، ثم أطرا العرب وبالغوا ، وأثنوا ومجدوا في مكانة النديم وأثره في حياة الحاكم فقالوا: "إذا وليت عملاً فانظر من كاتبك فإنما يعرف مقدار مَنْ بَعُدَ عنك بكاتبك ، واستعقل حاجبك فإنما يقضي عليك الوفود قبل الوصول إليك بحاجبك ، واستظرف نديماً فإنما يزنك الداخل إليك بمثقال من يراه معك"[4].

١ - القيرواني: قطب السرور، ص٧٢.

٢ - قوام الدين: سير الملوك ،ص١٢٦.

٣ - كشاجم: أدب النديم، ص٣.

٤ - المصدر نفسه، ص٣.

ولذلك قيل[1]:

لـــيس في اللـــهو والمدامـــةِ حـــظٌّ ... لكـــريمٍ دونَ النديـــمِ الكريـــمِ

فـــتخير قبـــلَ النبيـــذِ نديـــماً ... ذا خـــلالٍ مُعطـــراتِ النسيـــمِ

وجمـــالٍ إذا نظـــرتَ بديـــع ... وضـــميرٍ إذا اختـــبرتَ سليـــمِ

وبيّن الجاحظ أن هناك صفات تتوافر عند الندماء إذا رافقوا الملك في حلِّه وترحاله فقال: "من حق الملك ، إذا زامله بعض بطانته ، أن يكون عارفاً بمنازل الطريق ، وقطع المسافة ، دليلاً بهدايته وأعلامه ومياهه ، قليل التثاؤب والنعاس ، قليل السعال والعطاس ، معتدل المزاج ، صحيح البنية ، طيب المفاكهة والمحادثة ، قصير المياومة والملايلة ، عالماً بأيام الناس ومكارم أخلاقهم ، عالماً بالنادر من الشعر والسائر من المثل ، متطرفاً من كل فن ، آخذاً من الخير والشر بنصيب ، إن ذكر الآخرة ونعيم أهل الجنة ، حدّثه بما أعد الله تعالى لأهل طاعته من الثواب ، فرغبه فيما عنده ، وإن ذكر النار ، حذره ما قرب إليها ، فزهده مرةً ، ورغّبه أخرى"[2].

وأكد أن مَنْ لازم الملك من الندماء أن يكون محبوباً مألوفاً يُبهج وجوده ، ولا يُحزن فراقه فقال: "ينبغي أن يكون نديم الملك معتدل الطبيعة ، معتدل الأخلاط ، سليم الجوارح والأخلاق ، لا الصفراء تقلقه وتكثر حركته ، ولا الرطوبة والبلغم يقهره ، ويكثر بوله وبزقه وتثاؤبه ويطيل نومه ، ولا السوداء تضجره وتطيل فكره وتكثر أمانيه وتفسد مزاجه ، فأما الدموي فليس يدخل في هذه الأقسام المذمومة ، إذ كان بالبدن إليه حاجة كحاجته إلى تركيبه وسلامته"[3].

---

١ - أبو هلال العسكري: ديوان المعاني ،٣١٩/١ ؛ النويري: نهاية الأرب، ١٢٧/٤.

٢ - التاج في أخلاق الملوك، ص٦٩

٣ - المصدر نفسه ، ص٦٩.

ومما ينبغي للنديم –مع خفة روحه- أن يكون محتاطا لما يقول ، ولا يتكلم إلا بما تدركه العقول ، فقد روى ابن شهريار في ذلك حكاية ، قال: "بلغني أن ملك الهند كان في خدمته نديم فاضل ، ثقيل الرأس ، خفيف الروح ، فكان في بعض الليالي في خدمة مخدومه ، فطلب منه أن يحدثه بأحاديث مختلفة ، ثم جرى على لسانه أن قال: رأيت في عراق العرب حيواناً في شكل الطير والجمل ، يأكل الحصا فتذيبه معدته ويبتلع الحديد المحمي فلا يضره ، فأنكر الحاضرون ذلك ، وقالوا حيوان من لحم ودم يأكل النار لا يتصور ، ووافق الملك على ذلك ، فخجل النديم ، وتندم على حكاية ذلك ، وود أن لو كان لم يذكر هذا الحديث ، ولزم من هذا أنه يتوجه إلى عراق العرب ، فوصل إلى بغداد وحصل من النعام عدة ، وتكلف في حملها وإيصالها إلى بلاد الهند ، وأنفق عليها أموالاً عديدة ، وتحمل ما ادعاه حتى وصل إلى الهند ، وأخبر الملك بذلك ، فأحضر ما وصل من النعام بين يديه ، وطرح الحديد المحمي والحصا أمامها ، فما تتمالك أن أكلت منه ، فتعجب الحاضرون من ذلك ، وصدقوا ، فقال النديم: يا مولانا الملك أنفقت أموالاً كثيرة ، وقاسيت مشقة عظيمة حتى ظهر صدقي ، فقال الملك: نعم ما فعلت ، ولكن كلام يحتاج قائله إلى إنفاق أموال جسيمة وتحمل مشقة عظيمة وتعب البدن والروح وصرف مدة من العمر لا يتفوه العاقل به ، وإنما أوردت هذه الحكاية ليتأدب جلساء الملوك وندماؤهم"[1].

ومن هذا الباب مما ينبغي للنديم التحوط منه "أن ملكاً من ملوك حمير خرج إلى الصيد ومعه نديم له فوقفا على صخرة ملساء ، فقال النديم: لو أن إنساناً ذبح على هذه الصخرة إلى أين كان يبلغ دمه ، فأمر بذبحه ، وقال: ربّ كلمة تقول لصاحبها دعني"[2].

---

١ - مرزبان نامه، ص٧٧- ٧٨.

٢ - النويري، نهاية الأرب، ٣٢/٣.

ومما ينبغي للنديم ألا يسأل حاجة أو يبتدأ الملك بكلام "حتى يكون هو المبتدئ بذلك ، فإن جهل أحد ما يلزمه في ذلك ، تقدم إليه فيما يجب عليه ، فإن عاد ، فعلى الموكل بأمر الدار أن يحسن أدبه ، وأن لا يأذن له في الدخول ، حتى يكون الملك يبتدئ ذكره ، ثم يوعز إليه أنه ، إن عاد ، أسقطت مرتبته ، فلم يطأ بساط الملك"[1].

وينبغي للنديم أن يكون حاضراً عند الطلب ، فروى الخطيب البغدادي: "أن بعض الرؤساء تأخر نديم له ، فقال يا غلام: عليّ بالنديم الذي لا يتغير ولا يتغيب ، قال: من هو ، قال: الكتاب"[2].

وقال أعرابي: "أمتع الجلساء الذي إذا أجبته عجب ، وإذا فكهته طرب ، وإذا أمسكت تحدث ، وإذا فكرت لم يلمك"[3].

وقال نجاح[4] للخليفة المتوكل(٢٣٢-٢٤٧هـ) لما دعاه لمنادمته: "فيَّ خصال لا أصلح معها لمنادمة الخلفاء ، قال: ما هي؟ قال: سلس في البول ، وتنحنح إذا حدّثت ، ولا أقدر من الشراب على أكثر من رطلين فقال المتوكل: من حق صدقك علينا أن نسامح فيها"[5].

وبلغت تلك الضوابط والشروط حداً عند بعض الناس للإحاطة بها ، لأنها من الصفات التي تُبهج المسامر ، وتُسعد الجليس المقامر ، وتشحذ المُجالس إلى

---

١ - الجاحظ، التاج في أخلاق الملوك، ص٤٨

٢ - تقييد العلم، ص١٢٥.

٣ - أبو حيان التوحيدي: البصائر والذخائر ،٢/ ١٤٧ ؛ الصداقة والصديق ،١/٢٩٢.

٤ - هو أبو الفرج نجاح بن سلمة بن عتاب بن نهار بن خيار بن بسطام، من فضلاء الكتاب وخيارهم، صحب الخليفة المتوكل، وكان يتولى ديوان التوقيع، ويتتبع الوزراء وأعمالهم، توفي ببغداد سنة ٢٤٥هـ. مسكويه: تجارب الأمم ،٣٠٥/٤؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق ،٤٥١/١٦؛ ابن الجوزي: المنتظم ،٣٢٩/١١.

٥ - أبو حيان التوحيدي: البصائر والذخائر ،١٤٧/٢.

إدراك المآثر ، وقد شدّد إعرابي أن حكم جليس الملوك أن يكون فيه صفات غير متوفرة في غيره من الناس فقال: "ينبغي أن يكون حافظاً للسمر ، صابراً على السهر"[1] ، لأن من لا يمتلك تلك المؤهلات لا يستطيع أن يشغل قلب الملوك ، ويجهل طبيعة السلوك.

وأصبحت صفات الندماء خُلقاً وطبعاً وعاملاً في تعيينهم لتولي ذلك المنصب أو رفضهم ، فيروى عن سهل بن هارون[2] قال: "ينبغي للنديم أن يكون كأنما خُلق من قلب الملك ، يتصرف بشهواته ، ويتقلب بإرادته ، إذا جدَّ جَدّ ، وإذا هَزل هزل ، ولا يمل المعاشرة ، ولا يسأم المسامرة ، إذا انتشى تحفظ ، وإذا صحا تيقظ ، يكون كاتماً لسره ، ناشراً لبره ، ويكون للملك دون العبد ، لأن العبد يخدم نوائباً ، والنديم يحضر دائباً"[3].

ويفضل أن يكون الندماء من ذوي التجارب والأسفار وممن خدموا العظماء والأكابر فإذا ما أراد الناس التعرف على أخلاق الملك وعاداته فإنهم يقيسونه بندمائه فإن يكونوا ذوي أخلاق حميدة وطباع رحبة صبراً ، وذوي شهامة وظرف يدركوا حينئذ أن الملك حسن الخلق والطباع محمود السيرة حلو الشمائل والعادات ، وإنٍ يكونوا مقطبي الوجوه متعجرفين مستخفين متكبرين بخلاء رعناء وممن يطلبون المحال فإن الناس يستدلون على أن الملك سيء الطبع

---

١ - أبو حيان التوحيدي: البصائر والذخائر، ٨ /١٦؛ الآبي: نثر الدر ،٦/ ٣٢ ؛ الزمخشري: ربيع الأبرار، ١٦٥/٥.

٢ - هو أبو عمرو سهل بن هارون بن راهبون الفارسي، دخل البصرة وكان شاعراً بليغاً فصيحاً شعوبياً، اتصل بالمأمون فولاه خزانة الحكمة، توفي ببغداد سنة ٢١٥هـ. ابن سعد: الطبقات،٢٣/١؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء ،١٤٠٩/٣؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ،١٣/١٦؛ الكتبي: فوات الوفيات ،٨٤/٢.

٣ - أبو حيان التوحيدي: البصائر والذخائر ،١٤٢/٤؛ الآبي: نثر الدر ،١٧٠/٤؛ النويري: نهاية الأرب،١٢٦/٤.

والخلق والسيرة ممسك شرير متهور[1].

ولكن هل يشترط بالندماء أن يكونوا من الذين يشربون الخمرة ، أو ممن يستهوون حياة الدعة والفسق والفجور ، ويعشقون الغناء ومعاشرة النساء؟.

لا شك أن النظرة العامة على حياة الندماء أنهم ممن يميلون إلى تلك المفاسد ، وحياة العبث والبعد عن الدين.

إلاّ أن ذلك الأمر متعلق بأخلاق الملك أو الخليفة أو السلطان ، فإذا كان من أهل الصلاح والتقوى ، فلا يقرب مجلسه غير أهل الإيمان والورع ممن يُذكرونه بالله ويسدون إليه النصائح والإرشادات ويوجهونه إلى خير البلاد وسعادة العباد ، والعكس صحيح لأن كما قيل: شبيه الشيء منجذب إليه[2].

وقيل: شكل الشيء منجذب إليه بالمشاكلة وبالضد ، وهوَ من مصائد إبليس ، ولذلك قالوا: أهلك الرجال الأحمران ، أي الذهب والخمر[3].

ولا أدل شاهد على ما أشار به الرسول الأكرم(ﷺ) من تأثير الجليس على المُجالس فقال: "إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير! فحامل المسك إما أن يحذيك ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد ريحاً خبيثة "[4] ، وقال رسول الله(ﷺ): "المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم مَن يُخالل"[5].

---

١ - قوام الدين: سياسة الملوك ،ص١٢٧.

٢ - الثعالبي: اللطائف والظرائف ،ص١٩٩؛ الحصري: زهر الآداب ،٤٥٦/١؛ الوطواط: غرر الخصائص،ص٥٣٧.

٣ - الثعالبي: تحسين القبيح، ص٥٧.

٤ - البخاري: الصحيح، ٦٣/٣ ؛ مسلم: الصحيح، ٣٧/٨.

٥ - الخرائطي: مساوئ الأخلاق، ص٣١٣ ؛ الحاكم: المستدرك ،١٨٨/٤؛ البيهقي: شعب الإيمان،٥٥/٧.

لذلك قال العرب أربعة تشتدّ معاشرتهم: "الرجل المتواني ، والرجل العالم ، والفرس المرح ، والملك الشديد المملكة ، وأربعة تشتد مؤونتهم: النديم المعربد ، والجليس الأحمق ، والمغني التائه ، والسفلة تقرّأ"[١].

وأجمل الجاحظ الصنفين من الندماء ، فذكر أنّ رجلاً قال لزائر له ورآه يومي إلى امرأته[٢]:

كل هنيئاً وما شربت مريئاً ثم قم صاغراً فغير كريم

لا أحبّ النديم يومض بالعين إذا ما خلا بعرس النديم

وقال آخر: وتعرضت له امرأة صاحبه [٣]:

ربّ بيضاء كالقضيب تثني قد دعتني لوصلها فأبيت

ليس شأني تحرّجاً غير أني كنت نَدْمان زَوْجها فاستحيْت

فالأول كان نديم سوء لتجاوزه بالنظر إلى حرمة صاحبه ، والآخر تحرج من النظر وغض طرفه احتراماً لصاحبه ونديمه.

ويفيد أحد الباحثين: أن تعريف كلمة النديم جاءت كلمة الجليس مفسرة له ، كما أن كلمة نادم ، استعملت مرادفة لكلمة جالس ، والترادف بين هذه الألفاظ ، يشير إلى طبقتين من الأصحاب والخلطاء ، هما الجلساء والندماء ، وقد رسم لكل منهما دور يختلف عن دور الآخر ، فإذا كان النديم شريباً ، فإنه ليس من الضروري أن يكون الجليس كذلك ، أي أن كل نديم جليس ، ولكن ليس كل جليس نديماً[٤].

---

١ - الجاحظ، البيان والتبيين، ٣١٥/١.

٢ - البيان والتبيين ،٣٤٧/٣؛ ينظر أيضاً: المبرد: الكامل في اللغة والأدب ،١٠٦/١.

٣ - البيان والتبيين، ٢٢٦/٣.

٤ - جمال محمد سرحان: المسامرة والمنادمة عند العرب حتى القرن الرابع الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأمريكية – بيروت ١٩٧٨م، ص٢.

الفصل الثاني

وظيفة الندماء وجذورها التاريخية

المبحث الأول: وظيفة الندماء

المبحث الثاني: الندماء عند الأمم القديمة

أولاً: الندماء عند ملوك الفرس واليونان والرومان

ثانياً: صورة النديم عند العرب قبل الإسلام

وظيفة الندماء

من الجدير بالذكر أن وجود الندماء أصبح مقروناً بوجود الحكام والأمراء لذلك لا تخلو أمّة من الأمم وأنت تقرأ تراثها الفكري والحضاري من أثر لهؤلاء الندماء وطرائفهم وحكاياتهم ، وما قاموا به من أدوار سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو ثقافية في كل مرحلة من مراحلها التاريخية.

ولقد حدد العلماء وظيفة الندماء في النظم السياسية والإدارية لكل دولة أو مملكة وما يقومون به من خدمة يعتقد البعض أنها جليلة وثقيلة بنفس الوقت لأنها تخفف عن وطأة الملك ما يلاقيه من مشاكل الحكم وغيره.

وفي واقع الأمر لا بأس للملك من اتخاذ الندماء الأكفاء ممن ينطلق معهم على سجيته ويطارحهم ما يريد من الحديث والمزاح بحضرته دونما خجل أو حرج ولكن بشرط أن يكون ذلك بخلوته ومع خاصته ، ذلك لأن مجالسة الملوك الكبراء وحكام الأقاليم والأمراء وقادة الجيش والسفراء كثيراً ما تؤثر في هيبتهم وعظمتهم وتقديرهم وتزيد من جسارة أولئك معهم[1] ، كما أن أمور السياسة وإدارة البلاد تناقش مع عمال الملك ومعاونيه ، ولا يصح للخليفة أو السلطان أن يأتي أموراً فيها إشارة إلى مواطن ضعفه وهوى نفسه في مجلسه أمام وزراءه

---

١ - قوام الدين: سير الملوك ،ص١٢٦.

وولاته وقادته ، لأنه يصغر في أعينهم ، وتقل هيبتهم له.

أما فيما يتعلق بالمعاشرة والتنزه ومجالس الأنس والشراب والصيد واللعب وغيرها فمن الأفضل أن يتدبرها الملوك مع الندماء في خلواتهم لأنهم إنما أعدوا لمثل هذا[1].

وعلى الجمل: إن على الملوك ألاّ يتخذوا ندماءهم ممن أسندوا إليهم مناصب ومقامات وأعمالاً ، وألاّ يسندوا للندماء أي عمل أبداً لأنهم بما لهم في رحاب الملك من حظوة قد يتطاولون ويتسببون فِي إيذاء الناس وإرهاقهم ولهذا العامل ينبغي أن يهاب الملك دائماً ، أما النديم فجرأته وجسارته معه مرغوبة وإلاّ فإن الملك لا يستطيب منادمته ولا يهش لها فطبع الملك ينبسط بالندامى وللندماء أوقات معلومة فبعد انفضاض اجتماع الملك بالكبراء وانصرافهم من عنده يبدأ دور الندامى[2].

وللنديم وظائف عدة نلخصها فيما يأتي:

أولاً: إيناس الملك وتسليته.

ثانياً: أن النديم بحكم وجوده مع الملك ليل نهار يكون بمثابة الحامي له والذائد عنه والمحافظ عليه فإذا ما حاق بِه خطر ما فإن النديم لا يخشى أن يجعل من نفسه درعاً يدرؤه بها.

ثالثاً: أنه يمكن للملك تقليب الحديث بجده وهزله مع النديم في حين يتعذّر مثل هذا مع الوزراء والكبراء لأنهم أصحاب مناصب ومقامات وعمال الملك.

رابِعاً: أنه بحكم جرأة الندامى وجسارتهم يمكن الاستماع منهم إلى أشياء كثيرة ومعرفة أمور وأحوال عديدة من خير وشر مما لا يخلُو من الفائِدة

---

١ - قوام الدين: سير الملوك، ص١٢٧.

٢ - المصدر نفسه، ص١٢٦.

والصالح العام[1].

ولأهمية العمل الذي يقوم به النديم وتأثيره الإيجابي على نفسية الملك وقراراته فقد بين أحد الندماء وظيفته ودوره لمّا فاخر كاتب نديماً فقال: "أنا معونة وأنت مؤونة ، وأنا للجَدِّ وأنت للهزل ، وأنا للشدة وأنت للرخاء ، وأنا للحروب وأنت للسلم ، فقال النديم: أنا للنعمة وأنت للخدمة ، وأنا للحظوة وأنت للمهنة ، تقوم وأنا جالس وتحتشم وأنا مؤانس ، تدأب لمرضاتي وتمسي لما فيه سعادتي ، فأنا شريك وأنت معين ، كما إنك تابع وأنا قرين ، فغلبه"[2].

---

١ - قوام الدين: سير الملوك ،ص١٢٦.

٢ - أبو هلال العسكري: ديوان المعاني ،٣١٩/١؛ كشاجم: أدب النديم، ص٣- ٤.

المبحث الثاني

الندماء عند الأمم القديمة

احتل الندماء مكانة مرموقة عند الملوك والسلاطين والأمراء ، فكانوا من أقرب الناس إليهم وأوثقهم عندهم ، يدخلون معهم في خلواتهم ، يفضون إليهم بالأسرار وما يشعرون به من الضيق والأكدار ، يقضون معظم الأوقات معهم ، بشراب المدام والخمور وسماع الأخبار ورواية الأشعار ، يتلذذون بالغناء ، ومعاينة الراقصين والإنصات للموسيقيين والعازفين ، فضلاً عن مشاركتهم شهواتهم ونزواتهم ، وللإحاطة بما للندماء من أثر وما شغلوه من دور في أنظمة الحكم والسياسة على مر التاريخ نوجزه فيما يأتي:-

أولاً : الندماء عند ملوك الفرس واليونان والرومان

اشتهر ملوك الفرس بتقريب الندماء و مخالطتهم ، ومجالستهم ومفاكهتهم ، وكانوا من أسبق الأمم في هذا المجال ، حتى نراهم قد وضعوا إليهم شروط معينة واختبارات خاصة من أجل تقريبهم والفوز بثقتهم ، وكانت الأكاسرة تمتحن الأمانة عند ندمائها ، ولاسيما ما يتعلق بالشهوات من النساء والأموال والأسرار فقد روي: أن كسرى أبرويز امتحن رجلاً من خاصته بهذه المحنة ، ثم دس إليه جارية من بعض جواريه ، ووجه معها إليه بألطاف وهدايا ، وأمرها أن لا تقعد عنده في أول مرة ، فأتته بألطاف الملك ، وقامت بين يديه ، ولم تلبث أن انصرفت

حتى إذا كانت المرة الثانية ، أمرها أن تقعد هنيهة ، وأن تبدي عن محاسنها حتى يتأملها ففعلت ، ولا حظها الرجل وتأملها ، وجعل الرجل يحدّ النظر إليها ، ويسر بمحادثتها ، ومن شأن النفس أن تطلب بعد ذلك الغرض من هذه المطايبة ، فلما أبدى ما عنده ، قالت: أخاف أن يُعثر علينا ولكن دعني حتى أدبر في هذا ما يتم به الأمر بيننا ، ثم انصرفت فأخبرت الملك بذلك... ثم أرسل له أخرى فتعلق بها كسابقتها ، فأعلمت الملك ، فقام بنفيه بعدما علم خيانته[1].

وإذا صادف أن نجح أحد هؤلاء بهذه الاختبارات "وخف الواحد منهم على قلب الملك ، وكان الرجل عالماً بالحكمة ، موضعاً للأمانة في الدماء والفروج والأموال على ظاهره ، فيأمره أن يتحول إلى منزله ، وأن تفرغ إليه حجرة ، وأن لا يتحول إليه بامرأة ولا جارية ، ولا حرمة ، ويقول له: أريد بك الأنس في ليلي ونهاري ، وإن كان معك بعض حرمك قطعك عني فاجعل منصرفك إلى منزلك في كل خمس ليال ، فإذا تحول الرجل أنس به ، وخلا معه ، وكان آخر من ينصرف من عنده ، فيتركه على هذه الحالة أشهراً"[2].

لقد أصبح الندماء جزء لا يتجزأ من الحياة الاجتماعية ، لذلك كانت لهم أهمية لا تقل عن أي كيان أو جماعة في التركيبة الاجتماعية ، وإذا ما بالغنا وقلنا أنها في مقدمتهم بسبب قرب منزلتهم من السلطان وما يحظون بهم من رعاية وتكريم واحترام.

ومن أخلاق الملك أن يجعل ندماءه في طبقات ومراتب ، وأن يخص منهم ويعم ، ويقرب إليه ويباعد ، ويرفع بعضهم ويضع ، إذ كانوا على أقسامٍ وأدوات ، فإنا قد نرى الملك يحتاج إلى الوضيع للهوه ، كما يحتاج إلى الشجاع لبأسه ، ويحتاج إلى المضحك لحكايته ، كما يحتاج إلى الناسك لعظته ، ويحتاج إلى أهل

---

١ – الجاحظ: المحاسن والأضداد، ص٢٥١.

٢ – المصدر نفسه، ص٢٥١.

الهزل ، كما يحتاج إلى أهل الجد والعقل ويحتاج إلى الزامر المطرب ، كما يحتاج إلى العالم المتقن ، وهذه أخلاق الملوك ، أن يحضرهم كل طبقةٍ ، إذ كانوا ينصرفون من حال جدٍ إلى حال هزلٍ ، ومن ضحك إلى تذكير ، ومن لهوٍ إلى عظة ، فكل طبقةٍ من هذه الطبقات ترفع مرةً وتحط أخرى ، وتعطي مرةً وتحرم أخرى ، خلا الأشراف والعلماء ، فإن الذي يجب لهم رفعة المرتبة ، وإعطاء القسط من الميزة ، والنصفة من المعاشرة ، ما لزموا الطاعة ورعوا حقها[1].

فكان أردشير بن بابك(٢٢٦-٢٤١م)[2] من الملوك الفرس الذين لهم نظرة اجتماعية واسعة فعمل على تقسيم المجتمع إلى طبقات ، وجعل الندماء من بين الطبقات ، وهو أول من رتب الندماء ، وأخذ بزمام سياستهم فجعلهم ثلاث طبقات[3] لما لهم من أهمية في مشاورتهم ومماحكتهم ، والاستفادة من خبراتهم ومعرفتهم ، فضلاً عن التنفيس عن الملك وزرع الأمل في نفسه وتغير طعم يومه بالفرح والمرح ، والهزل والمزح.

وكان النديم عند الفرس يتميز بصفات خاصة تؤهله أن ينال حظوة ومكانة عند الملك كما أسلفنا لذلك جعل في طبقة تميزه عن طبقة العامة ، والمهم في ذلك أن ملوك الفرس لم يقربوا إليهم خسيساً أو دنيئاً أو لئيماً ، إذ أشار الجاحظ إلى أنه لم يكن ، في هذه الطبقة الثالثة ، وهم المضحكون وأهل الهزل والبطالة: "خسيس الأصل ولا وضيعه ولا ناقص الجوارح ، ولا فاحش الطول والقصر ، ولا مؤوّف ، ولا مرسي بأبنة ، ولا مجهول الأبوين ، ولا ابن صناعة دنيئة ، كابن حائك أو حجّام ،... وكان أردشير يقول: ما شيء أضر على نفس ملكٍ من معاشرة سخيفٍ ، أو مخاطبة وضيعٍ ، لأنه كما أن النفس تصلح على

---

١ - الجاحظ: التاج في أخلاق الملوك، ص١٩.

٢ - ينظر عن حكم أردشير بن بابك: الفردوسي: الشاهنامه، ص٤٩- ٥٦.

٣ - الجاحظ: التاج في أخلاق الملوك، ص٢١.

مخاطبة الشريف الأديب الحسيب ، كذلك تفسد بمعاشرة الدنيء الخسيس حتى يقدح ذلك فيها ، ويزيلها عن فضيلتها ، وكما أن الريح إذا مرت بطيبٍ ، حملت طيباً تحيا به النفس ، وتقوى به جوارحها ، كذلك إذا مرت بالنتن ، فحملته ، ألمت له النفس ، وأضر بأعلاقها أضراراً تاماً"[1].

وكان الندماء يحتجبون عن الملك بستارة ، فكان يكون بينه وبين أول الطبقات عشرون ذراعاً لأن الستارة من الملك على عشرة أذرع ، والستارة من الطبقة الأولى على عشرة أذرع ، وهكذا بالنسبة إلى باقي الطبقات.

وكان الموكل بحفظ الستارة رجلاً من أبناء الأساورة[2] ، يقال له خرم باش ، فإذا مات هذا الرجل ، وكل بها آخر من أبناء الأساورة ، وسمي بهذا ، فكان خرم باش ، إذا جلس الملك لندمائه وشغله ، أمر رجلاً أن يرتفع على أعلى مكان في قرار دار الملك ، ويغرد بصوت رفيع يسمعه كل من حضر ، فيقول: يالسان ، احفظ رأسك فإنك تجالس في هذا اليوم ملك الملوك ثم ينزل[3] ، وتصنف الطبقات على النحو الآتي:

الطبقة الأولى- الأساورة (أي القادة) وأبناء الملوك.

الطبقة الثانية- بطانة الملك وندمائه ومحدثوه من أهل الشرف والعلم.

الطبقة الثالثة- وهم المضحكون وأهل الهزل والبطالة.

فلم يزل على ذلك ملوك الأعاجم ، حتى ملك بهرام جور بن يزدجرد (٤٢٠- ٤٣٨م)[4] فأقر مرتبة الأشراف وأبناء الملوك ، وسدنة بيوت النيران على ما

---

١ - للمزيد ينظر: التاج في أخلاق الملوك، ٢٢/١.

٢ - الأساورة وهم من طبقة الفرسان في الجيش الساساني، ينظر: كرستنسن: إيران في العهد الساساني، ص٩٨.

٣ - الجاحظ: التاج في أخلاق الملوك، ص٢٦.

٤ - ينظر عن سيرته: الفردوسي: الشاهنامه، ص٨٠- ١٠٦.

كانت ، وسوى بين الطبقتين من الندماء والمغنين ، ورفع من أطربه ، وإن كان في أوضع الدرجات ، إلى الدرجة الأولى ، وحطّ من قصّر عن إرادته إلى الطبقة الثانية ، فأفسد سيرة أردشير في المغنين وأصحاب الملاهي خاصةً ، فلم يزل الأمر على ذلك ، حتى ملك كسرى أنوشروان(٥٣١-٥٧٨م)[١] فرد الطبقات إلى مراتبها الأولى ، فكان هذا فعلهم في كل يوم يجلس فيه الملك للهوه ، ولا يجترئ أحد من خلق الله أن يدير لسانه في فيه بخير ولا غيره ، حتى تحرك الستارة ، فيطلع القائم عليها ، فيؤمر بأمرٍ فينفذه ، ويقول: افعل يا فلان كذا ، وتغني يا فلان ، كذا وكذا[٢].

وقد رسم ملوك الفرس أن يلبس أهل كل طبقة لبسة لا يلبسها أحد ممن في غير تلك الطبقة ، فإذا وصل الرجل إلى الملك عرف صناعته والطبقة التي هو فيها[٣].

وهناك سؤال يطرح نفسه هل أن جميع الندماء من الطبقة الراقية؟ وهل دورهم يقتصر على المفاكهة والمسامرة وشرب الخمرة مع الملك؟

في واقع الأمر كان بعض الندماء من العظماء والأشراف وأبناء الملوك وإخوة الملك وعمومته وبني عمّه ، وأوضع الطبقات في مجلس الملك في نقابٍ واحدٍ إطراقاً وإخباتاً وسكون طائر ، وقلة حركة[٤] ، فلم يزل أمر الملوك من الأعاجم مع الندماء كذلك ، حتى مَلكَ الأردوان الأحمر[٥] ، فكان يقول: "من كانت له

١ - هو كسرى بن قباذ بن فيروز بن يزدجرد، ينظر: الفردوسي: الشاهنامه، ص١٢١- ١٦٥.

٢ - الجاحظ: التاج في أخلاق الملوك، ص٢٦.

٣ - الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص٩.

٤ - الجاحظ: التاج في أخلاق الملوك، ص٢٧.

٥ - هكذا ورد عند الجاحظ الصحيح هو الأردوان الأصغر، وهو الأردوان بن بهرام بن بلاش آخر ملوك الأشكانية بعد الاسكندر المقدوني وكانوا يعرفون بملوك الطوائف، لأن بلاد فارس قام عليها ملكان بهذا الاسم أحدهما الأكبر والثاني الأصغر، وهذا كان أعظم شأناً وأكبر=

منكم حاجة ، فليكتبها في رقعة ، وليرفعها قبل شغلي ، فأفهم ما فيها ، ويخرج إليه أمري ، وعقلي صحيح وفكري جامع"[1].

وعلى ذلك فمن سأل ، في غير هذا الوقت ، حاجةً ، ضربت عنقه ، وهو أول من فتح هذا الباب ، وكان لا يرد سائلاً ، ولا يعطي مبتدئاً ، فلم يزل الأمر على ذلك ، حتى ملك بهرام جور ، فكان يقول للندماء: "إذا رأيتموني قد طربت ، وخرجت من باب الجد إلى باب الهزل ، فسلوا حوائجكم ، وكان يوكل بحوائجهم صاحب الستارة ، فكان إذا سكر ، مدّ الناس أيديهم برقاعهم ، فأخذها صاحب الستارة ، فأنفذها إليه ، فأخذها بيده ، وضمها عليها ، ثم رمى بها من غير أن ينظر في شيء منها ، ويقول: أنفذوا كل ما فيها ، فكان ذلك ربما بلغ في ليلة واحدة من سؤالٍ في إقطاع أو قضاء دينٍ أو طلب منحة ألف ألف أو أكثر ، إلا أن ذلك لم يكن تباعاً ، وكان إذا رفع أحدهم في رقعته ما ليس يجوز لمثله ، وهو خارج من حد القصد وادخل في باب الإفراط ، لم تقض له حاجة ، وسمي جاهلاً ، ولم تؤخذ له رقعة بعدها أبداً"[2].

وكان ملوك الفرس على مستوى عال من الثقافة والأدب ، وهذا ما نلاحظه في بلاطهم وما كان عليه ندمائهم وجلسائهم من مواهب ، فقد كان بهمن (وهو كسرى أنو شروان)[3] شغوفاً بمحاسن الكلام يقدم له ، ويؤثر من أجله ندمائه وخلطائه[4].

=ملكاً من سابقه. الفردوسي، الشاهنامه: ص٣٨- ٤٢ ؛ النويري: نهاية الأرب، ١٦٦/١٥.

١ - الجاحظ: التاج في أخلاق الملوك، ص٢٧.

٢ - الجاحظ: التاج في أخلاق الملوك، ص ٢٨.

٣ - بهمن لقب تلقب به كسرى أنو شروان الذي حكم الدولة الساسانية للمدة من(٥٣١- ٥٧٨م)، ينظر عنه: البلاذري: فتوح البلدان، ص٢٤٨ ؛ الفردوسي، الشاهنامه: ١٢١/٢- ١٦٥.

٤ - جمال محمد سرحان: المسامرة والمنادمة عند العرب ، ص١٨.

كما كان أنو شروان ذو عناية كبيرة بالآراء الفلسفية ، وكان في بلاطه الكثير من الأطباء والفلاسفة أمثال أورانيس الطبيب والحكيم السرياني الذي كان يشرح له آراء الفلاسفة ، وكان يجمع علماء الدين ويحادثهم ، فيما يتعلق بنظام الكون وغيرها من الآراء الفلسفية[1].

فضلاً عن ذلك كان أنوشروان ذو إحساس مرهف في رعايته للمغنين والموسيقيين ، يتذوق من خلالهم الشعر الراقي والصوت الجميل ، حتى نرى من يمتلك موهبة عالية في هذا المجال ينال حظوة كبيرة ومقاماً مرموقاً عنده ، ولا أدل صورة مما روي: لّما أراد كسرى قتل زيوشت المغنّي ، لقتله فهلبذ المغني ، وأمر أن يرمى به تحت الفيلة ، قال: قتلت أحسن النّاس غناء ، وأجودهم إمتاعا للملك ، حسدا له ، فلمّا سحبوه نحو الفيلة التفت إلى كسرى وقال: إذا قتلت زيوشت المغني ، وقد قتل زيوشت فهلبذ فمن يطربك؟ فقال كسرى: المدة التي بقيت لك هي التي أنطقتك ، خلّوا سبيله[2].

وكان مظاهر الحياة الحضرية عند اليونان امتازت بظهور الندماء وخاصة أصحاب الملك فكانوا في مرتبة النبلاء والأشراف ، واتخذ القياصرة من الندماء والجلساء بطانة يشاركونهم كل شيء ، فقد شهد بلاط الإسكندر نوعين من المقربين هما المحدثون والندماء ، ومحدثو الإسكندر كانوا على الأغلب من الفلاسفة الحكماء الذين برز منهم أرسطوطاليس[3] الذي اتصل به مؤدباً قبل المُلك ، وجليساً ومستشاراً بعده ، ومن وصيته للإسكندر ، أنه قال: "احفظ ما

---

١ - الفردوسي: الشاهنامه، ٢/١٣٣- ١٣٦ ؛ جمال محمد سرحان: المسامرة والمنادمة عند العرب، ص١٨.

٢ - الجاحظ: الحيوان، ٧/٦٧.

٣ - أرسطوطاليس بن نيقوماخوس فيلسوف يوناني مؤسس مذهب فلسفة المشائين له مؤلفات عديدة، توفي سنة ٣٢٢ ق. م، ينظر: ابن صاعد، طبقات الأمم، ص٧٦- ٨١ ؛ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص٨٦- ٩٢.

أقول لك إذا كنت في مجلس الشرب ، فليكن مذاكرتك الغزل فإنهم يأنسون إلى ذلك ، وإذا جلست إلى خاصتك فاذكر الحكمة فإنهم لها أفهم ، وإذا خلوت للنوم فاذكر العفة فإنها تمنعك أن تضع النطفة في ما لا معنى له"[١].

أما عند الرومان فقد قلّد أباطرة الرومان ملوك الفرس في مجالسهم فاتخذوا الندماء وقربوهم وجمعوا حولهم رجالاً يشاركوهم طعامهم وشرابهم ويرافقوهم عندما يخرجون إلى الصيد ، وقد سموا أصدقاء الإمبراطور[٢] ، كما قلدوا أكاسرة الفرس في جعل لباس خاص بكل طبقة من طبقات الرعية ، وقلدهم بذلك أشراف الدولة الذين حولوا قصورهم إلى صورة مصغرة عن البلاط الإمبراطوري فضموا إليهم رجال الدين والشعر والأدب[٣].

في واقع الحال أن الندماء كان لهم تأثير كبير على حياة الملوك والحكام فقد أشغلوهم عن دورهم السياسي والقيادي في إدارة الدولة وشؤون الرعية ، وصرفوهم من حياة الجد والمسؤولية إلى حياة العبث واللهو ، ولا أدل صورة مما وصل إليه الإمبراطور قسطنطين الثامن(٤١٦- ٤١٩هـ/ ١٠٢٥-١٠٢٨م) حيث سيطر عليه العبث واللهو فاختص لاعبي النرد والشطرنج وقربهم وانصرف غلى مجلس اللعب بحيث أهل أمور حكمه ، ويروى أنه كان عديم الاكتراث بالسفراء والرسل الذين يقفون ببابه عندما يمارس اللعب[٤].

---

١ - ينظر الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء ،٨٠٧/١ ؛وينظر: جمال محمد سرحان: المسامرة والمنادمة عند العرب، ص١٩.

٢ - جمال محمد سرحان: المسامرة والمنادمة عند العرب، ص٢٠.

٣ - المصدر نفسه، ص٢٠.

٤ - المصدر نفسه، ص٢٠.

ثانياً- صورة النديم عند العرب قبل الإسلام

شغل الندماء مكانة كبيرة لدى الملوك والحكام والأمراء ، فلا يخلو مجلس حاكم أو أمير أو شيخ قبيلة من هؤلاء الندماء الذين يميلون إلى حياة الدعابة والهزل ويعاقرون السكر والشراب ويحفظون الأشعار ، وطرائف الأخبار ، لذلك رسموا لهم صورة جميلة في نظر علية القوم وزعمائهم فتراهم يرافقونهم في حلهم وترحالهم فلا تحلوا المجالس إلاّ بمنادمتهم ومؤانستهم وقضاء الأوقات بصحبتهم.

وكانت العرب قبل الإسلام تود مجالسة الندماء وتألفهم وتقربهم وتخلع عليهم الهبات والأموال لما يقدمونه من خدمات في إثراء الحياة الأدبية والثقافية في المجتمع فضلاً عن إغناء الحياة السياسية بأخبار الأمم وأحوالها ، وسير الأبطال وأفعالها ، وفرسان القبائل ورجالها ، الذين خلدهم التاريخ وسطر سيرهم وأمجادهم.

ولذلك قيل: إن العرب سمّت النديم نديماً ، لأنه يُندم على فراقه(١).

وتفاخر العرب بمجالسة أولئك الندماء ومسامرتهم الحديث والأخبار ورواية الأشعار فتعلموا منهم وأخذوا عنهم ، فشكلوا ظاهرة أدبية واجتماعية للمرحلة التي عاشوا بها ، فضلاً عن حاجة العرب إلى الاطلاع على تراث الأمم المجاورة وما عرفته من تقدم تدريجي في إدارة البلدان وثقافة العمران ، فلذلك أسهم الندماء في رفد المجتمع في تلك الحقبة بالمعطيات الفكرية والحضارية.

فكان امرؤ القيس(٢) مع شرفه وملوكيته يفخر بالنُدّام والمنادمة إذ كان يجالس

---

١ - كشاجم: أدب النديم ،ص٣.

٢ - هو أبو يزيد امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن كندة من فطاحل شعراء العرب وأسيادهم في الجاهلية، كتب شعره بماء الذهب وعلق في الكعبة. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٢٢/٩؛ ابن العديم: بغية الطلب ،١٩٩١/٤؛ النووي: تهذيب=

العظماء والقياصرة فقال[1]:

ونادمـــــت قيصــــــر في ملكــــــه فــــأوجهني وركبـــت البريـــــدا

كما أن قس بن ساعدة[2] (ت نحو ٦٠٠م) جالس قيصر وحادثه[3].

واتخذ ملوك الحيرة الندماء وفي مقدمتهم جذيمة الأبـرش(حـوالي ٢٠٨-٢٦٨م) أول ملوكهم ، الذي قرّب الأخوين مالكاً وعقيلاً من بني القين من تغلب فكانا نديما الملك حتى ضربا مثلا في أشعار العرب فقالوا:

لعمـرك مـا ملـت كبيشـة طلعـتي وإن ثـــوائي عنــــدها لقليــــل

ألم تعلمـــي أن قـــد تفـــرق قبلنــا نـــديما صــفاء مالـــك وعقيـــل

وقالوا أيضاً:

وكنــا كنــدماني جذيمــة حقبــة مـن الـدهر حتـى قيـل لـن يتصـدعا

فلمـــا تفرقنـــا كـــأني ومالـــكا لطـول اجتمـاع لم نبـت ليلـة معـا[4]

وروي أن النعمان بـن المنـذر(حـوالي ٥٨٣-٦٠٥م) ملك الحيرة علـى عظمتـه وجبروته إلاّ أنـه كـان يقرب النـدماء ويخصـهم بالحفاوة والتكـريم ، ولعـل أبـرزهم زرجون بن توفيـل ، وكـان رجـلاً مـن أهـل الشـام تـاجراً حريفـاً للنعمـان يبايعـه ،

=الأسماء،١/١٢٦ ؛ الزركلي: الأعلام، ٢/١١.

١ - كشاجم: أدب النديم، ص٣.

٢ - هو من قبيلة أياد وكان من عقلاء العرب وحكمائهم، تحنف في الجاهلية، وهو أول من أقرّ منهم بالبعث وأول من قال في الخطبة: أما بعد، عاش طويلاً، وكان النبي ﷺ قد رآه يخطب في سوق عكاظ وأعجب به. ابن ماكولا: الإكمال ،٧/٩٣؛ الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء، ٢/ ٣٦٢؛ ابن الأثير: أسد الغابة ،٤/٣٨٤.

٣ - جمال محمد سرحان: المسامرة والمنادمة عند العرب، ص٢٠.

٤ - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١/٦١٧ ؛ المطهر المقدسي، البدء والتاريخ، ٣/١٩٧ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٢/٥٥

وكان أديباً حسن الحديث والمنادمة ، فاستخفّه النعمان ، وكان إذا أراد أن يخلو عن شرابه بعث إليه وإلى النطاسي ، وهو النديم الآخر له ، وكان طبيباً بارعاً ، ضُرب به المثل عند العرب لبراعته بالطب ، والشاعر الربيع بن زياد العبسي وكان هو الآخر نديما له ، فحدث أن وُشِيَ بالربيع العبسي فأبعده النعمان[1] ، فقال يعاتبه في منادمته للنطاسي ولابن توفيل قائلاً:

أبـرُقْ بأرضـك يـا نعمـان متّكئـاً ... مـع النطاسـيّ يومـاً وابـن تـوفيلا

فأجابه النعمان:

شَرِّد برحلك عنّي حيث شئت ولا ... تكثر عليّ ودع عنك الأباطيلا

فقد ذكرت بشيء لست ناسيه ... ما جاورت مصر أهل الشام والنيلا

فما اتقاؤك منه بعدما جزعت ... هوج المطي به نحو ابن سمويلا

قد قيل ذلك إنْ حقًّا وإن كذبًا ... فما اعتذَارُكَ من قول إذا قيلا[2]

فقد عاب عليه الشاعر الربيع بن زياد العبسي كثرة مجالسته لهذين النديمين ومفاكهتهما وتناول الشراب معهما ، وتركه لباقي أصدقائه ورفاقه وأحبائه فعاتبه في ذلك.

ومن ندماء الملك النعمان بن المنذر الشاعر النابغة الذبياني والمنخل بن مسعود اليشكري فتنافسا في الحظوة عند الملك ، فوشى الأخير عند الملك أن النابغة يُعرّض بزوجته فعزم على قتله فهرب النابغة إلى الشام ، ثم أرسل يعتذر

---

١ - لبيد بن ربيعة: ديوان لبيد، ص٦- ٩ ؛ الزوزني: شرح المعلقات السبع، ص١٥٧ - ١٥٨ ؛ جواد علي: المفصل ،٩/٣٧.

٢ - أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ،١٥/٣٥٥ ؛ البكري: فصل المقال، ص٩٢ ؛ الميداني: مجمع الأمثال، ٢/١٠٢ ؛ ابن نما الحلي: المناقب المزيدية، ص٣٧٠- ٣٧٥.

إليه وقصده مرة أخرى وأوشى بالمنخل اليشكري بما اتهمه به فقتله النعمان[١].

إن ما تقدم يعكس شدة المنافسة بين الندماء والمكائد التي تدور بينهم للتفرد بالملك ونيل الحظوة عنده دون الآخرين ، كما تعكس أيضا مكانة الندماء ومدى تأثيرهم في قرارات الملك وأحكامه.

وفي مكة قبل الإسلام استُخدم النديم على نطاق واسع ، فقضى أغنياء مكة وسادتها لياليهم في مجالسهم ونواديهم ، وعادتهم أنهم كانوا يتنادمون ، يشربون ويسمعون القيّان ، ويتنادرون ويسمعون القصص والنكات ، ثم يعودون إلى بيوتهم ، ونجد في كتب أهل الأخبار أسماء ندماء قريش[٢] ، وقلما نجد أحد من مشاهيرهم إلا وله نديم ، وأدناه قائمة ابن حبيب في الندماء من قريش[٣]:

١- كان عبد المطلب بن هاشم نديما لحرب بن أمية حتى تنافرا[٤] إلى نفيل بن عبد العزى[٥] ، جد عمر بن الخطاب ، فقال نفيل لحرب: ياأبا عمرو أتنافر رجلاً هو أطول منك قامة وأعظم منك هامة وأوسم منك وسامة وأقل منك لامة وأكثر منك ولداً وأجزل منك صفداً ، فلما نفر عبد المطلب افترقا[٦] ، ومات عبد المطلب قبل الفِجار[١] الذي كان بينهم وبين

---

١ - ابن نما الحلي: المناقب المزيدية، ص١٤٨- ١٥٥.

٢ - جواد علي: المفصل ،١٣٧/١٤.

٣ - المحبر: ص١٧٣- ١٧٧ ؛ ينظر أيضا: المنمق، ص٣٦٤- ٣٦٧ ؛ وقد ذكرناها حسب تسلسلها في كتاب المحبر.

٤ - المنافرة أي المحاكمة إلى من يقضي في خصومة، الفراهيدي: العين، ٢٦٨/٨ (مادة نفر).

٥ - نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي القرشي كان تتحاكم إليه قريش. ابن الكلبي: جمهرة النسب ١٠٥- ١٠٦ ؛ الزبيري: نسب قريش ٣٤٧.

٦ - قيل عن سبب المنافرة بين عبد المطلب وحرب بن أمية أن الأخير عدا على جار لعبد المطلب يهودي كان تاجراً فقتله، فطالبه عبد المطلب بدم جاره فتغالظا بالقول فاحتكما إلى المنافرة، فكانت لعبد المطلب، فغضب حرب بن أمية فترك عبد المطلب منادمته، ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، ٧٣/١ ؛ الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، ٢٦٤/١.

هوازن ، وهو ابن مائة وعشرين سنة ، فنادم حرب عبد الله بن جدعان التيمي.

٢- كان حمزة بن عبد المطلب نديما لعبد الله بن السائب المخزومي ، أسلما جميعاً.

٤- كان أبو أحيحة سعيد بن العاص بن أمية نديماً للوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

٥- كان معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح نديماً لأمية بن خلف بن وهب بن حذافة ، قتل أمية يوم بدر كافراً.

٦- كان عقبة بن أبي مُعيط بن أبي عمرو بن أمية نديماً لأبي بن خلف ، قتل رسول الله (ﷺ) عقبة صبراً في أسرى بدر ، وقتل أبى بن خلف مبارزة يوم أحد.

٧- وكان الأسود بن المطلب بن أسد نديماً للأسود بن عبد يغوث الزهري ، وهما الأسودان ، وكانا من أعزّ قريش في الجاهلية وكانا يطوفان بالبيت متقلدين بسيفين سيفين ، وكانا من المستهزئين برسول الله (ﷺ) ، وقال رجل من قريش يرثيهما:

إذا ما كان أمر فيه لبس جلا الطَخياءَ عنا الأسودان[٢]

كريما معشر هلكا جميعا فأوحش بلدح فالأخشبان[٣]

٨- كان أبو طالب بن عبد المطلب نديماً لمسافر بن أبى عمرو بن أمية ، فمات مسافر ، فنادم أبو طالب بعده عمرو بن عبد ود بن نضر بن مالك

---

١ - الفجار حرب سميت لحدوثها في الأشهر الحرم وهي أربعة بين قيس وكنانة، ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ١/١٨٤- ١٨٧.

٢ - الطخياء ظلمة الغيم، الفراهيدي: العين، ٤/٢٩٤ (مادة طخي).

٣ - بلدح الرجل أي بلد وأعيى، الفراهيدي، العين، ٣/٣٣٥ (مادة بلدح).

بن حسل بن عامر بن لؤي ، وقتل علي بن أبي طالب(u) عمـرا يـوم الخندق مبارزة وهو يومئذ ابن مائة وأربعين سنة.

٩- كان عتبة بن ربيعة بن عبد شمس نديماً لمطعم بـن عـدي بـن نوفـل بـن عبد مناف ، قتل عتبة يوم بدر كافراً.

١٠- كان أبو سفيان بن حرب نديماً للعباس بن عبد المطلب(t).

١١- كان الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم نـديماً لعـوف بـن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة ، أبي عبد الرحمن بن عوف.

١٢- كان زيد بن عمرو بن نفيـل بـن عبـد العـزي نـديما لورقـة بـن نوفـل بـن أسد ، فمات ورقة وخرج زيد إلى الشام ، فقتلته لخم وجذام.

١٣- كان شيبة بن ربيعة بن عبد شمس نديماً لعثمان بن الحويرث بن أسـد بن عبد العزى ، تنصرا جميعاً ، وقتل شيبة يوم بدر كافراً.

١٤- كان العاص بن سعيد بن العاص بن أميـة نـديماً للعـاص بـن هشـام بـن المغيرة ، وكانا يدعيان: أحمقي قريش ، قتـل علـي بـن أبـي طالـب(u) العاص بن سعيد وقتل عمر بن الخطاب(t) العاص بن هشام يوم بدر.

١٥- كان أبو لهب عبد العزى بن عبـد المطلب نـديماً للحـارث بـن عـامر بـن نوفل بن عبد مناف بن قصي ، قتل يوم بدر.

١٦- كـان الوليـد بـن عتبـة بـن ربيعـة نـديماً للعـاص بـن منبـه بـن الحجـاج السهمي قتلهما علي بن أبى طالب (u) يوم بدر.

١٧- كان ضرار بن الخطاب بن مرداس الفهري الشاعر نديماً لهبيرة بن أبى وهب المخزومي.

١٨- كان أبو جهل عمرو بن هشام المخزومي نديماً للحكم بن أبى العـاص بن أمية.

١٩- كان الحارث بن هشام بن المغيرة نديماً لحكيم بن حزام بـن خويلـد بـن

أسد ، وحكيم هذا ولد في الكعبة ، وذلك أنّ أمّه دخلت الكعبة وهي حامل به فضربها المخاض فيها فولدته هناك ، أسلما جميعاً.

٢٠- كان العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سهم نديماً لهشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، أبي أبي جهل.

٢١- كان نبيه بن الحجاج بن عامر السهمي نديماً للنضر بن الحارث أحد بني عبد الدار ، قتل نبيه يوم بدر كافراً ، وقتل النضر يوم بدر صبراً.

٢٢- كان عمارة بن الوليد بن المغيرة نديماً لحنظلة بن أبي سفيان بن حرب ، قتل علي بن أبي طالب(u) حنظلة يوم بدر كافراً.

٢٣- كان الزبير بن عبد المطلب وهو من فتيان قريش ، نديماً لمالك بن عميلة بن السباق بن عبد الدار.

٢٤- كان الأرقم بن نضلة بن هاشم بن عبد مناف ، وهو من فتيان قريش أيضاً ، نديماً لسويد بن هرمي بن عامر الجمحي ، وكان سويد أول من وضع الأرائك وسقّي اللبن والعسل بمكة.

٢٥- كان الحارث بن حرب بن أمية نديماً للحارث بن عبد المطلب فلما مات ، نادم العوام بن خويلد بن أسد.

٢٦- كان الحارث بن أسد بن عبد العزى نديماً لعبد العزي بن عثمان بن عبد الدار.

٢٧- كان أبو البختري العاص بن هاشم بن الحارث بن أسد نديماً لطلحة بن أبي طلحة بن عبد الدار ، قتله المجذر بن ذياد البلوي ، حليف الأوس ، يوم بدر ، وقتل علي بن أبي طالب(u) طلحةَ يوم أحد.

٢٨- كان منبه بن الحجاج السهمي نديماً لطعيمة بن عدي بن نوفل بن عبد مناف ، قُتل طعيمة يوم بدر ، قتله حمزة وعلي رضي الله عنهما ، وقتل أبو قيس الأنصارى منبهاً.

٢٩- كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب نديماً لعمرو بن العاص بن وائل السهمي.

٣٠- كان أبو أمية بن المغيرة المخزومي ، أبو أمّ سلمة زوج النبي (ﷺ) ، وكان يدعى زاد الراكب[1] ، نديماً لأبى وداعة بن ضبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم ، وكانا يسقيان العسل بمكة بعد سويد بن هرمي.

٣١- كان أبو قيس بن عبد مناف بن زهرة نديماً لسفيان بن أمية بن عبد شمس.

٣٢- كان أبو العاص بن أمية نديماً لقيس بن عدى بن سعد ابن سهم ، ولقيس يقول الشاعر:

في بيته يؤتي الندي كأنه في العز قيس بن عدي

٣٣- كان أبو بكر(t) نديما للرسول(ﷺ) في الجاهلية[2]

من قائمة ندماء قريش يمكن أن نستنتج أن النديم هنا لا يعني جليس الشراب فقط ، فهي تعني الصاحب كما هو الحال في منادمة أبي بكر(t) والرسول(ﷺ) ، وكذلك عبد المطلب بن هاشم وحرب بن أمية إذ أنهما لما اختلفا تفارقا ، وأبي طالب بن عبد المطلب ومسافر بن أبي عمرو بن أمية فإنهما لم يفترقا حتى وفاة الأخير ، وقد تعني التناصر كالأسود بن المطلب والأسود بن عبد يغوث اللذين لم يفترقان حاملين أسيافهما ، وقد تأتي من التوافق في الرأي كما هو حال زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وكانا من الأحناف ، وكذلك شيبة بن ربيعة والحويرث بن أسد بن عبد العزى اللذين تنصرا ، وربما

---

١ – سمي بزاد الركب لأن أبا طالب بن عبد المطلب رثاه، فقال من كلمة له :

وقد أيقن الركب الذي أنت فيهم إذا رحلوا يوماً بأنك عاقر

الزبيري: نسب قريش، ص٣٠٠.

٢ – ابن أبي شيبة: المصنف، ٣٢٩/٧ ؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ١٣٧/١.

لاتصاف الاثنين بصفة معينة ، مثل أبي أمية بن المغيرة المخزومي وأبي وداعة بن ضبيرة السهمي اللذين اتصفا بالكرم فكانا يسقيان العسل بمكة.

وفي تقديرنا أن الندماء في مكة كظاهرة اختلفت عمّا كان في فارس ، إذ هم ليسوا طبقة ، وإنما هي حاجة اجتماعية جمعت بين اثنين متآلفين متوافقين فهما متساويين في المكانة والشرف.

على أننا يجب أن نعلم أن بعض ملوك العرب قبل الإسلام كانوا على قدر من المعرفة والاطلاع في سماع أخبار الماضين وأحوال الأمم الأخرى ، فضلاً عن ميلهم إلى سماع القصائد والأشعار ولاسيما المديح والفخر في ذكر أمجادهم وبطولاتهم ، مما دفع بهم إلى اقتناء الندماء والجلساء ، ولعل الملك عمرو بن هند [1] خير مثال لما اتخذ من الشاعر طرفة بن العبد نديماً له[2].

---

١ - هو عمرو بن هند بن المنذر بن امريء القيس بن النعمان بن الأسود اللخمي، ملك الحيرة في الجاهلية، وعرف نسبته إلى أمّه هند، وكان كثير البأس شديد الفتك، هابه العرب وأطاعته القبائل، توفي نحو ٥٧٨ م. ابن قتيبة: المعارف ،ص٦٤٨؛ المقدسي: البدء والتاريخ ،٢٠٣/٣؛ الزركلي: الأعلام، ٨٦/٥.

٢ - الزركلي: الأعلام، ٢٢٥/٣.

الفصل الثالث

تطور أحوال الندماء في عصر الخلافة الإسلامية

المبحث الأول: موقف الإسلام من الندماء

المبحث الثاني: أحوال الندماء في العصر الراشدي(١١- ٤١هـ)

المبحث الثالث: أحوال الندماء في العصر الأموي(٤١- ١٣٢هـ)

المبحث الرابع: أحوال الندماء في العصر العباسي(١٣٢- ٣٣٤هـ)

موقف الإسلام من الندماء

فوجدت عند الفرس لتسلية الملك ومسامرته على الشراب واللهو ، كما عرفها عرب قبل الإسلام ولكن حسب طبيعة وظروف المجتمع ، ففي الحيرة مثلا تأثروا بما كان سائداً في فارس ، أما في مكة فكان اتخاذ النديم أشبه بظاهرة عامة عند معظم الوجهاء والأشراف والزعماء واصطبغت بصور مختلفة حسب ميول ومكانة المُتنادمَيّن.

وعندما جاء الإسلام ، لم يرد في القرآن الكريم ما يشير إلى هذه الفئة ، ولكنه أكد على اتخاذ الجلساء الصالحين والابتعاد عن كل ما يُشْغِل عن ذكر الله ، فقال تعالى{ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا(٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا(٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا(٢٩) }[١] ، روي أنها نزلت في عقبة بن أبي معيط وأبيّ بن خلف وكانا خليلين وكان الأخير يحضر مجلس النبي(ﷺ) فزجره عقبة وصرفه عن ذلك فنزلت[٢] ، وحسب ما ذكره ابن حبيب فإن عقبة كان نديماً لأبي بن

١ - سورة الفرقان.

٢ - الطبري: تفسير الطبري، ٢٦٣/١٩.

خلف[1] ، وحكم الآية عامٌ ، قال الطبري: "ويوم يعضّ الظالم نفسه المشرك بربه على يديه ندماً وأسفاً على ما فرط في جنب الله ، وأوبق نفسه بالكفر به في طاعة خليله الذي صدّه عن سبيل ربه ، يقول: يا ليتني اتخذت في الدنيا مع الرسول سبيلاً يعني طريقاً إلى النجاة من عذاب الله"[2].

وقال تعالى: {ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ(٦٧)} [3] ، روى الطبري: "أن علياً رضي الله عنه قال: خليلان مؤمنان ، وخليلان كافران ، فمات أحد المؤمنين فقال: يا ربّ إن فلاناً كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك ، ويأمرني بالخير ، وينهاني عن الشرّ ويخبرني أني ملاقيك يا ربّ فلا تضله بعدي واهده كما هديتني وأكرمه كما أكرمتني ، فإذا مات خليله المؤمن جمع بينهما فيقول: ليثن أحدكما على صاحبه فيقول: يا ربّ إنه كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك ، ويأمرني بالخير ، وينهاني عن الشرّ ، ويخبرني أني ملاقيك ، فيقول: نعم الخليل ، ونعم الأخ ، ونعم الصاحب ، قال: ويموت أحد الكافرين فيقول: يا ربّ إن فلاناً كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك ، ويأمرني بالشرّ ، وينهاني عن الخير ، ويخبرني أني غير ملاقيك ، فيقول: بئس الأخ ، وبئس الخليل ، وبئس الصاحب"[4] ، ومن هنا فإن النديم والخليل في القرآن هو من يرشد صاحبه إلى الخير ويدل عليه ، ويبعده عن السوء ويحذره منه.

والتوجيه نفسه في السنة النبوية ، فقد حثّ الرسول(ﷺ) المسلمين على ضرورة تحري الجليس الصالح ، فقال(ﷺ): "مثل الجليس الصالح والسّوء ، كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك: إمّا أن يُحذيك ، وإمّا أن تبتاع منه ،

---

١ - المحبر: ص١٧٤.

٢ - تفسير الطبري، ٢٦٣/١٩.

٣ - سورة الزخرف.

٤ - تفسير الطبري، ٦٣٨/٢١.

وإمّا أن تجد منه ريحاً طيبة ، ونافخ الكير: إمّا أن يحرق ثيابك ، وإمّا أن تجد ريحاً خبيثة"[1].

ويحذر الإمام علي u من مخالطة السفلة والفساق والسفهاء فيقول: "لا خير في صحبة من تجتمع فيه هذه الخلال: من إذا حدّثك كذبك ، وإذا ائتمنته خانك ، وإذا ائتمنك اتهمك ، وإذا أنعمت عليه كفرك ، وإذا أنعم عليك منّ عليك"[2].

وفي ذلك يقول الشاعر[3]:

صاحب أخا ثقة تحضى بصحبته فالطبع مكتسب من كل مصحوب

كالريح آخذة مما تمر به فنتناً من النتن أو طيباً من الطيب

أما ما يخص المزاح في المجالس فإذا كان بالكذب فهو من أعظم المنكرات ، ومن أخطر ما يكون بين الناس في مجالسهم ، فالواجب الحذر من ذلك ، وقد حذر الله تعالى من ذلك بقوله: { وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ(٦٥)}[4] ، وقال الرسول (ﷺ): "ويل للذي يحدث فيكذب ، ليضحك به القوم ، ويل له ثم ويل له"[5] ، أما المزاح المباح في المجالس فهو ما راعى المازح فيه الحق وتحرى الصدق فيما يقوله في

---

١ – البخاري: صحيح البخاري، ٩٦/٧ ؛ ينظر أيضا: مسلم صحيح مسلم، ٢٠٢٦/٤ ؛ الطبراني: مسند الشاميين، ٢٢/٤.

٢ – ابن عبد البر: بهجة المجالس ،٥٦٥/٣؛ ابن مفلح: الآداب الشرعية ،١٥٠/١؛ عويضة: فصل الخطاب ،٢١٤/١٠.

٣ – السلمان: موارد الضمآن لدروس الزمان، ١٩٥/٢.

٤ – سورة التوبة.

٥ – ابن حنبل: مسند أحمد، ٢٤٤/٣٣ ؛ الدارمي: سنن الدارمي، ١٧٧١/٣ ؛ أبو داود: سنن أبي داود، ٢٩٧/٤ ؛ ابن منده، الفوائد، ص٢٢.

مزاحه وتحاشى الكذب وفحش القول.

وقد ذكرت كتب الحديث تحت باب المزاح العديد من الأحاديث تبين أن الرسول(ﷺ) كان غير عبوساً يمازح أصحابه ، منها:

١- عن أبى قلابة عن أنس بن مالك(t) قال: "أتى النبي(ﷺ) على بعض نسائه ومعهن أمّ سليم فقال: يا أنجشة رويدا سوقك بالقوارير ، قال أبو قلابة: فتكلم النبي(ﷺ) بكلمة لو تكلم بها بعضكم لعبتموها عليه قوله: سوقك بالقوارير"[١].

٢- وعن أبى هريرة(t) قالوا: "يا رسول الله إنك تداعبنا قال إني لا أقول إلا حقا"[٢]

٣- وعن أنس بن مالك(t) قال: "جاء رجل إلى النبي(ﷺ) يستحمله فقال أنا حاملك على ولد ناقة ، قال يا رسول الله وما أصنع بولد ناقة فقال رسول(ﷺ): وهل تلد الإبل إلا النوق"[٣].

٤- وعن أنس بن مالك(t) قال:" كان النبي(ﷺ) ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير يا أبا عمير ما فعل النُغير"[٤].

٥- وعن أنس بن مالك(t)قال: قال لي رسول الله(ﷺ)(يا ذا الأذنين) يعني مازحه[٥].

---

١ - البخاري: الأدب المفرد، ص١٣٩- ١٤٠.

٢ - البخاري، الأدب المفرد، ص١٤٠ ؛ الترمذي: سنن الترمذي، ٤٢٥/٣ ؛ البيهقي: الآداب، ص١٣٤ ؛ البغوي: شرح السنة، ١٨٠/١٣.

٣ - البخاري: الأدب المفرد، ص١٤١ ؛ أبو داود: سنن أبي داود، ٣٠٠/٤ ؛ الترمذي: سنن الترمذي، ٤٢٥/٣ ؛ البغوي: شرح السنة، ١٨٢/١٣.

٤ - البخاري: الأدب المفرد، ١٤١- ١٤٢ ؛ الترمذي: سنن الترمذي، ٤٢٥/٣ ؛ البيهقي، الآداب: ص١٣٥ ؛ البغوي، شرح السنة، ١٧٩/١٣.

٥ - أبو داود: سنن أبي داود، ٣٠١/٤ ؛ الترمذي: سنن الترمذي، ٤٢٦/٣ ؛ البغوي: شرح السنة، ١٣/ ١٨٢.

٦- وعن أنس بن مالك(t): "أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهر بن حرام ، وكان يهدي للنبي(ﷺ) الهدية من البادية ، فيجهزه رسول الله(ﷺ) إذا أراد أن يخرج ، فقال النبي(ﷺ): إن زاهراً باديتنا ، ونحن حاضروه ، قال: وكان النبي(ﷺ)يحبه ، وكان دميماً ، فأتاه النبي(ﷺ) يوماً ، وهو يبيع متاعه ، فاحتضنه من خلفه ، وهو لا يبصره ، فقال: أرسلني ، من هذا؟ فالتفت ، فعرف النبي(ﷺ) ، فجعل لا يألو ما ألزق ظهره بصدر النبي(ﷺ)حين عرفه ، وجعل النبي(ﷺ) يقول: من يشتري العبد؟ فقال: يارسول الله ، إذن والله تجدني كاسداً ، فقال النبي(ﷺ): لكن عند الله لست بكاسد ، أو قال: لكن عند الله أنت غال"[1].

٧- وعن ابن أبي الورد عن أبيه قال: "رآني النبي(ﷺ) ، فرآني رجلاً أحمر ، فقال: أنت أبو الورد"[2].

٨- وعن بكر بن عبد الله قال: "كان أصحاب النبي(ﷺ) يتبادحون بالبطيخ فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال"[3].

٩- وعن أمّ المؤمنين أمّ سلمة "أن أبا بكر(t) خرج تاجراً إلى بصرى ومعه نعيمان وصويبط بن حرملة وكلاهما بدري ، وكان صويبط على الزاد ، فجاء نعيمان فقال: أطعمني ، فقال: لا حتى يأتي أبو بكر ، وكان نعيمان رجلاً مضحاكاً مزاحاً فقال: لأغيظنك ، فجاء إلى أناس جلبوا

---

١ - ابن حبان: صحيح ابن حبان، ١٠٧/١٣ ؛ البيهقي: الآداب، ص١٣٥ ؛ البغوي: شرح السنة، ١٨٥/١٣.

٢ - البغوي: شرح السنة، ١٨٣/١٣.

٣ - البخاري: الأدب المفرد، ص١٤٠.

ظهراً – أي جابوا بعيراً محملاً ، فقال: ابتاعوا مني غلاماً عربياً فارهاً وهو ذو لسان ، ولعله يقول: أنا حر ، فإن كنتم تاركيه لذلك فدعوني لا تفسدوا عليَّ غلامي ، فقالوا: بل نبتاعه منك بعشر قلائص ، والقلائص يعني جمال نوق ، فأقبل بها يسوقها وأقبل بالقوم حتى عقلها ، ثم قال للقوم: دونكم هو هذا خذوه ، فجاءوا القوم فقالوا: قد اشتريناك ، قال صويبط: هو كاذب أنا رجل حر ، فقالوا: قد أخبرنا خبرك وطرحوا الحبل في رقبته فذهبوا به ، فجاء أبو بكر فأُخبر ، فذهب هو وأصحاب له فردوا القلائص وأخذوه ، فضحك منها النبي(ﷺ) وأصحابه حولاً ، سنة كاملة يضحكون من الذي حدث ، أو من هذه القصة"[1].

١٠- وعن ابن عباس(t) قال: كان من مزاحه(ﷺ)" أنه(ﷺ) كسا ذات يوم امرأة من نسائه ثوبا واسعا فقال لها البسيه واحمدي وجري منه ذيلاً كذيل العروس"[2].

١١- روى زيد بن أسلم أن امرأة يقال لها أمّ أيمن جاءت إلى النبي(ﷺ) فقالت: إن زوجي "يدعوك فقال: ومن هو ، أهو الذي بعينه بياض ، قالت: ما بعينه بياض ، فقال: بلى بعينه بياض فقالت: لا والله فقال(ﷺ): ما من أحد إلا وبعينه بياض وأراد البياض المحيط بالحدقة"[3].

١٢- وعن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر(t) قال: "إن رجلاً كان يلقب

---

١ – ابن راهويه: مسند ابن راهويه، ٩٧/٤ ؛ ابن حنبل: مسند أحمد، ٢٨٤/٤ ؛ ابن ماجة: سنن ابن ماجة، ١٢٢٥/٢.

٢ – الغزالي: إحياء علوم الدين، ١٢٩/٣.

٣ – الغزالي: إحياء علوم الدين ؛ والحديث مرسل، ينظر: العراقي: تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، ١٦٨٠/٤.

حماراً[1] وكان يهدي لرسول الله (ﷺ) العكة من السمن والعسل ، فإذا جاء صاحبه يتقاضاه جاء به إلى النبي (ﷺ) فقال: أعط هذا متاعه فما يزيد النبي (ﷺ) على أن يتبسم ويأمر به فيعطى"[2] ، وفي حديث عبد الله بن عمرو بن حزم قال: " وكان لا يدخل المدينة طرفة إلاّ اشترى منها ثم جاء فقال: يا رسول الله هذا أهديته لك فإذا جاء صاحبه يطلب ثمنه ، فقال: اعط هذا الثمن فيقول ألم تهده لي فيقول ليس عندي فيضحك ويأمر لصاحبه بثمنه"[3].

وبصورة عامة وضع العلماء ضوابط للمزاح ، قال الماوردي: "العاقل يتوخى بمزاحه أحد حالين لا ثالث لهما ، أحدهما: إيناس المصاحبين والتودد إلى المخالطين وهذا يكون بما أُنسَ من جميل القول وبسط من مستحسن الفعل كما قال حكيم لابنه: يا بني اقتصد في مزاحك فإن الإفراط فيه يذهب البهاء ويجري السفهاء والتقصير فيه نقص بالمؤانسين وتوحش بالمخالطين ، والثاني: أن ينبغي من المزاح ما طرأ عليه وحَدَثَ به مِنّ هَمّ ، وقد قيل لا بد للمصدور أن ينفث"[4].

وقال ابن عربي: "ولا يستعمل المزاح أيضاً في أحكام الدين فإنه جهل ، قال تعالى مخبرا عن قصة البقرة: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ(٦٧))[5] ، قال معناه لا أمزح في أحكام

---

١ - قال البخاري اسمه عبد الله ويلقب حمارا، وكان يُضْحِكُ رسول الله (ﷺ)، صحيح البخاري، ١٥٨/٨.

٢ - أبو يعلى: مسند أبو يعلى، ١٦١/١ ؛ أبو نعيم: حلية الأولياء، ٢٢٨/٣ ؛ ضياء الدين المقدسي: الأحاديث المختارة، ١٨٤/١ ؛ الهيثمي: المقصد العلي، ٣٠٠/٢.

٣ - ابن حجر: فتح الباري، ٧٧/١٢ ؛ القسطلاني: إرشاد الساري، ٤٥٢/٩.

٤ - المناوي: فيض القدير، ١٣/٣.

٥ - سورة البقرة.

الدين فإن ذلك فعل الجاهلين ولكن اذبحوها فستَرَوْا الحقيقة فيها"[١].

وقال المناوي: "قيل لابن عُيينة المزاح سُبّة، فقال: بل سُنة، ولكن من يُحسنه، وإنما كان(ﷺ) يمزح لأن الناس مأمورون بالتأسي به والاقتداء بهديه فلو ترك اللّطافة والبشاشة ولزم العبوس والقطوب لأخذ الناس من أنفسهم بذلك على ما في مخالفة الغريزة من الشفقة والعناء فمزح ليمزحوا"[٢]، وأضاف أن "المداعبة مطلوبة محبوبة، لكن في مواطن مخصوصة، فليس في كل آن يصلح المزاح، ولا في كل وقت يحسن الجد، قال:

أهازل حيث الهزل يحسن بالفتى　　　وإني إذا جدّ الرجال لذو جدّ"[٣]

وقال القاري: "اعلم أن المزاح المنهي عنه، هو الذي فيه إفراط ويُداوم عليه، فإنه يورث الضحك وقسوة القلب، ويشغل عن ذكر الله والفكر في مهمات الدين، ويؤول في كثير من الأوقات إلى الإيذاء، ويورث الأحقاد، ويُسقط المهابة والوقار"[٤]، وذهب السيوطي إلى جواز المزاح فيما ليس إثماً[٥].

ومن خلال الضوابط أعلاه تأتي إباحة المزاح، ولكن بعض العلماء أضاف ضابطاً آخر، هو أن لا يكون ذلك حرفة أو مهنة للتكسب، قال الغزالي: "من الغلط العظيم أن يتخذ الإنسان المِزاح حِرْفَةً يُوَاظِبُ عليه وَيُفْرِطُ فيه"[٦]، وقال أبو زيد: "إن المزاح المشروع يأتي عرضاً، وليس حرفة تستهلك الحياة"[٧].

---

١ - **المناوي: فيض القدير، ١٣/٣.**

٢ - **فيض القدير، ١٣/٣.**

٣ - **فيض القدير، ١٤/٣.**

٤ - **مرقاة المفاتيح، ٣٠٦١/٧.**

٥ - **شرح سنن ابن ماجة، ٢٦٥/١.**

٦ - **إحياء علوم الدين، ١٢٩/٣.**

٧ - **حكم التمثيل، ص٣٧.**

إلاّ أنّ حيـاة النـدماء شـهدت تطـوراً ملحوظـاً في أحـوالهم الاجتماعيـة والاقتصادية ومكانتـهم السياسـية مـن فـترة إلى أخـرى ومـن عصـر لآخـر ، فقـد شكل النديم في بداية الخلافة الراشدة مرآة تعكس كل الجوانب السلبية التي قد يتعـرض لهـا الخليفـة خـلال حكمـه وإدارتـه للدولـة وذلـك في إطـار روح الـدين الإسلامي وروح المجتمع العربي البسيط آنـذاك ، ولكـن مع تطـور المدنيـة والحيـاة الحضرية واتصال العرب المسـلمين بشـعوب الـبلاد المفتوحـة وتحـول معظـم تلـك الشعوب إلى الإسلام ، دخل حياة المسلمين كـثيراً مـن مظاهر تلـك الشـعوب ، فضلاً عن تدفق الثروة على المسلمين ، ونشاط حركة التجارة ، أن ظهـرت حيـاة اجتماعية زاهية عند المسلمين طغى الترف والبذخ على بعض جوانبها فـدخلت قصور الأثرياء والحكام ، وكان الندماء أحد مظاهرها ، لذلك أردنا الإحاطة بجانب من طبيعة الحياة التي يحيونها والوقوف علـى أبـرز أدوارهـم وأحـوالهم في الدولـة الإسلامية.

أحوال الندماء في العصر الراشدي
(١١- ٤١هـ)

انشغلت الدولة في هذا العصر بالفتوحات ، حكام ومحكومين ، وكان همهم نشر الإسلام وإعلاء كلمة الله تعالى وتوطين الدين في المناطق المفتوحة ، فضلاً عن ما اتصف به الخلفاء من الزهد في الدنيا والابتعاد عن ملذاتها ، فكانوا فرسان في النهار رهبان في الليل ، فلم تكن لهم بطانة مقربة أو حاشية مخصوصة أو مجالس مغلقة ، فأبوابهم مفتوحة للرعية ، لم يتخذوا الحجّاب والبوابين أو القصور ، فبيوتهم بسيطة كغيرهم ، والمسجد هو مقر إدارة الدولة يدخله من يشاء ، ولذلك لم يرد عنهم أنهم اتخذوا الندماء بالصورة التي عُرفت فيما بعد ، ويبدو أن مفهوم النديم الذي يعني الجليس والصاحب والمشاور والذي كان سائداً في عصر الرسالة وقبل الإسلام استمر في العصر الراشدي.

إن صورة الندماء في عهد الخلفاء الراشدين لم يشوبها الانحراف أو اللهو أو البعد عن الدين فكانت صورة ناصعة بيضاء تعبر عن وحي رسالة السماء ، فمعظم الذين يحيطون بالخليفة من جلّة الصحابة الذين نشأوا في دوحة الإيمان ، وتتلمذوا في مدرسة القرآن ، وعلى يد معلمهم الرسول محمد(ﷺ) سيد الأكوان ، واشتهروا بالصلاح والورع والتقوى والعلم والبيان ، لذلك كان ندماء الخليفة يدورون ضمن محور العقيدة السليمة في تقديم النصح والمشورة الصادقة

له في معظم الأمور سواء كانت الدينية منها أو الدنيوية حتى لا يقع في الخطأ عن قصد أو غير قصد ، لأن الأمة الحق هدفها الأسمى هو إقامة العدل وبناء مجتمع مسلم شعاره الحرية والمساواة ولا يتحقق ذلك إلاّ في مراقبة الحكام وتقويمهم من أجل بناء أمة عقائدية تواكب الحضارة والتقدم دون الإخلال بواجباتها الشرعية ، قال تعالى: { وَلْتَكُن مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[1].

وقد أوضح أبو بكر الصديق t (١١-١٣ هـ) منذ أول لحظة تم اختياره فيها خليفة خطابه للمسلمين عموماً ولأصحابه وجلسائه وندمائه بشكل خاص عن سياسته ومنهجه في إدارة الدولة فقال: "أما بعد أيها الناس فإني قد وليت عليكم وليست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، ولا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم ، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله"[2].

من الجدير بالذكر أن هذه الخطبة بيّنت طريقة الحكم والسياسة مع الرعية في دولة الإسلام إذ أنها سوف تسير كما كانت في عهد رسول الله (ﷺ) ، لا تغيير ولا تقصير ولا تخسير من جانب. ورسمت طريقة التعامل وعلاقة الخليفة بالآخرين أنها تكون في حدود الشرع لا تسويف أو مهادنة ولا إفراط أو تفريط من جانب آخر.

---

١ - سورة آل عمران:١٠٤.

٢ - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٢١٠/٣؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ ،١٩٢/٢؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٢٦٩/٥.

ثم أعطى الدليل لأصحابه أنه يريد معونتهم على هذا الأمر لأنها أمانة ثقيلة لا يستطيع تحملها إلاّ بمعونتهم ومؤازرتهم فقال: "لقد قلدت أمراً عظيماً ما لي به من طاقة ولا يد إلا بتقوية الله ، فقال الإمام علي u والزبير t : ما غضبنا إلاّ لأنا أخرّنا عن المشورة"[1].

من نافلة القول لقد شعر ندماء الخليفة وأصحابه أنهم أمام مسؤولية عظيمة فلا وقت عندهم للهزل أو الضحك أو التسلية لأن الأمة أمام منعطف خطير ، والأعداء تحيط بهم من كل جانب ، فضلاً عن ذلك أن مسألة نشر تعاليم الإسلام وهداية الناس ورفع راية الجهاد في سبيل الله كانت همهم الدائم وشغلهم الشاغل.

ولما جاء عمر بن الخطاب t (١٣- ٢٣هـ) إلى سدة الحكم برهن للأصحاب والجلساء أن يكونوا أكثر مسؤولية في توجيه الحاكم ونصحه وإرشاده إلى جادة الصواب ومنعه عن الظلم والضرب على أيدي الظالم مهما كانت مكانته الاجتماعية منهم ، وقوته السلطوية فيهم ، ولعل خطبته عند توليه الخلافة خير دليل على ذلك فقد فتح الباب على مصراعيه للنقد وإرشاد الحاكم إلى ما فيه خير الأمة وصلاح أمرها فقال: "أيها الناس من رأى منكم فيّ اعوجاجاً فليقومه ، فقام له رجل وقال: والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا ، فقال عمر t : الحمد لله الذي جعل في هذه الأمة من يقوم اعوجاج عمر بسيفه"[2] ، ومما أثر عنه قوله: "أحبَّ الناس إليّ من أهدى إليّ عيوبي"[3] ، وقوله: "إني

---

١ - ابن كثير: البداية والنهاية ،٢٥٠/٥؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء ،ص٥٧.

٢ - السلمان: موارد الظمآن ،٥٦٣/٣؛ عارف خليل: نظام الحكم في الإسلام، ص٢٧١؛ خلاف: السياسة الشرعية، ص٣٣.

٣ - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ٢٢٢/٣؛ ابن قتيبة: عيون الأخبار ،١٧/٢؛ ابن الجوزي: المناقب،١٥٢/١ ؛ ابن عبد الهادي: محض الصواب ،٥٩٣/٢.

أخاف أن أخطئ فلا يردني أحد منكم تهيباً مني"[1].

لقد جعل الخليفة مسألة إدارة الدولة مشتركة وهي مسؤولية الجميع في تتبع الأخطاء وتمحيصها ، وانتقاد تصرفاته إذا كانت خاطئة ، وتحذير ولي الأمر من التفرد بالقرار المبني على ذلك الخطأ لمعالجته.

ويروى أن الخليفة عمر t ضيق على الندماء وشاربي الخمرة الخناق ولاحقهم فلم تكن في عهده لهم فرصة للمسامرة والمنادمة إلاّ سراً ، وزاد الحد على شارب الخمرة ثمانين جلدة ليرعوا وينتهوا ، ولعل موقفه من أبي محجن الثقفي[2] خير مثال على ذلك ، فقد كان منهمكاً في الشرب ، لا يتركه خوف حدّ ولا لوم ، وجلده عمر t مراراً ، ونفاه إلى جزيرة في البحر ، وبعث معه رجلاً فهرب منه ، ولحق بسعد بن أبي وقاص وهو بالقادسية يحارب الفرس ، فكتب عمر إلى سعد ليحبسه ، فحبسه[3].

ومن الشواهد على متابعته من يهوى الشراب ويتغنى به ما يروى: أن الخليفة عمر بن الخطّاب t ولى "النّعمان بن نضلة بميسان ، وأراد رحيل امرأته معه ، فأبت ذلك وكرهته ، فلمّا وصل إلى ميسان أراد أن يَغيرَها فترحل إليه ، فكتب إليها:

ألا هل أتى الخنساء أنّ خليلها بميسان يسقى في زجاجٍ وحنتم

---

١ - الصلابي: فصل الخطاب، ص١٦٩؛ حمد الصمد: نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين، ص١٨٩.

٢- واسمه عمرو بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف الثقفي وقيل اسمه مالك بن حبيب، وكان شاعراً حسن الشعر، ومن الشجعان المشهورين بالشجاعة في الجاهلية والإسلام. وكان كريماً جواداً، روى عن النبي (ﷺ)، توفي سنة ٣٠هـ. ابن حجر: الإصابة ،٥٠٩/٤؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ،٦٣/١٧؛ الزركلي: الأعلام ،٧٦/٥.

٣ - ابن الأثير: أسد الغابة ،٦ /٢٧١ ؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ،٢ /٣٨٩.

إذا شــئت غنــتني دهــاقين قريــةٍ وصــاحبه يجثــو علــى خــدٍّ مبســم

فإن كنت ندماني فبالأكبر أسقني ولا تســقني بالأصــغر المتثلّــم

لعــلّ أمــير المــؤمنين يســوؤه تنادمنــا في الجوســق المتهــدّم

فبلغت الأبيات عمر بن الخطّاب ، فقال: أي والله ، وأبي وأبيك ، يسوؤني ، يا غلام ، اكتب بعزله ، فلمّا قدم على عمر بكّته بهذا ، فقال: يا أمير المؤمنين ما شربها قط ، ولا قلت الأبيات إلاّ بسبب كذا ، فقال عمر: أظنّ ذلك ولكن لا تعمل لي عملاً أبداً" [1].

وشدّد على من يحضر مجلسه من الندماء والأصحاب ألاّ يغفلوا عن زلّة ولا يسكتوا عن علّة ، وبذلك فإنه وضع لنفسه ميزاناً وفسح للحاضرين المجال للنقد والنقد الذاتي وبذلك استقام الناس وصلحت سيرتهم فقد روي: أن أم حكيم بنت الحارث[2] قالت له: "اتق الله ياعمر ، فقام إليها أحد الحاضرين يريد لطمها ، فمنعه عمر وقال له: دعها تقول ، فو الله لا خير فيهم إن لم يقولوها ، ولا خير فينا إن لم نسمعها"[3].

ولنا في هذه القصة خير شاهد على دور النديم في زمن الخلفاء الراشدين وكيف انبرى على قول كلمة الحق وألاّ يخشى في الله لومة لائم فكان ينحصر

---

١ - ابن الجوزي: أخبار النساء، ص١٠٠ ؛ ينظر أيضاً: ابن عبد ربه: العقد الفريد، ٨١/٨ ؛ النهرواني: الجليس الصالح ،ص١٠٠ وأسماه النعمان بن عدي ؛ النويري: نهاية الأرب ،١٠٢/٤.

٢ - هي أم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، أسلمت يوم الفتح، زوجها عكرمة بن أبي جهل، الذي أهدر دمه النبي ﷺ فاستأمنت له النبي فأمنه، كانت من الصحابيات المجاهدات، شاركت في وقعة مرج الصفر مع زوجها خالد فقتلت سبعة من الروم بعمود كان بيدها. ابن سعد: الطبقات ،٢٠٥/٨؛ ابن الأثير: أسد الغابة ،٣٢١/٦؛ ابن حجر: الإصابة ،٣٧٩/٨.

٣ - السلمان: موارد الظمآن ،٥٦٣/٣.

بشيئين إما لتقويم سلوك معوج أو تصحيح خطأ بائن.

وروي أنه استعدى رجل على الإمام علي بن أبى طالب u عند الخليفة عمر بن الخطاب t وعليٌّ جالس فالتفت عمر إليه ، فقال: قم يا أبا الحسن فاجلس مع خصمك ، فقام فجلس معه وتناظرا ، ثم انصرف الرجل ورجع عليٌّ u إلى محله ، فتبين عمر التغير في وجهه ، فقال: يا أبا الحسن ، ما لي أراك متغيرا! أكرهت ما كان؟ قال: نعم! قال: وما ذاك ، قال: كنيتني بحضرة خصمي ، هلاّ قلت: قم يا علي فاجلس مع خصمك! فاعتنق عمر علياً ، وجعل يُقَّبل وجهه ، وقال: بأبي أنتم! بكم هدانا الله ، وبكم أخرجنا من الظلمة إلى النور(١).

وكان عمر بن الخطاب(t) شديد في المزاح ، فهو يقول: "من كثر ضحكه قلت هيبته ، ومن مزح استخف به ، ومن أكثر من شيء عرف به ، ومن كثر كلامه كثر سقطه ، ومن كثر سقطه قلّ حياؤه ، ومن قلّ حياؤه قلّ ورعه ، ومن قلّ ورعه مات قلبه"(٢) ، وكان(t) يقول: "أتدرون لما سُمي المزاح مزاحاً ، قالوا لا ، قال: لأنه أزاح صاحبه عن الحق"(٣).

وتوالت دعوة الخلفاء الراشدين للأصحاب والمقربين من الجلساء وبقية المسلمين النجباء إلى كشف الأخطاء والملابسات دون خوف أو ضجر أو امتعاض ولعل ما قاله الخليفة عثمان بن عفان t فهو خير دليل على ذلك إذ قال: "إن وجدتم في كتاب الله أن تضعوا رجلي في القيد فضعوا رجلي في القيد"(٤) وهو يشير على

---

١ – الزمخشري: ربيع الأبرار،٣٠٦/٤؛ ابن حمدون: التذكرة الحمدونية ،٨٤/١؛ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ،٦٥/١٧؛ النويري: نهاية الأرب ،٣٧٣/٣ ؛ الأبشيهي: المستطرف ،ص١٠٩.

٢ – الغزالي: إحياء علوم الدين، ١٢٨/٣.

٣ – المصدر نفسه، ١٢٨/٣.

٤ – ابن سعد: الطبقات ،٧/٣ ؛ ابن خياط: التاريخ ،ص١٧١؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ،٤٤٤/٣ ؛ الصلابي: تيسير الكريم المنان، ص ٤٨.

ندمائه وجلسائه أن يحاسبوه إذا أخطأ ، ويعاقبوه إذا أفرط.

ولعل هذا الأمر يقر مبدأ التسليم للأمة بحق الرقابة على الحكام من قبل الحاشية والندماء والأحباب من القريبن والبعداء لتوضيح مواطن الخلل برحابة صدر وارتياح قلب ولم ينكروه على أنفسهم.

وقد حدد الإمام علي بن أبي طالب u للأصحاب والندماء موضعهم وطبيعة العلاقة بهم ، وكان أول ما قاله أمير المؤمنين علي u إثر توليه الخلافة بعد استشهاد الخليفة عثمان t لّما أتاه أولي الحل والعقد من أصحابه فقالوا: "يا أبا حسن هلم نبايعك! فقال: لا حاجة لي في أمركم أنا معكم فمن اخترتم فقد رضيت به فاختاروا والله ، فقالوا: ما نختار غيرك! قال: فاختلفوا إليه بعد ما قتل عثمان t مراراً ثم أتوه في آخر ذلك فقالوا له: إنه لا يصلح الناس إلا بإمرة وقد طال الأمر فقال لهم: إنكم قد اختلفتم إليّ وأتيتم وإني قائل لكم قولاً إن قبلتموه قبلت أمركم ، وإلاّ فلا حاجة لي فيه ، قالوا: ما قلت من شيء قبلناه إن شاء الله ، فجاء فصعد المنبر فاجتمع الناس إليه فقال: إني كنت كارهاً لأمركم فأبيتم إلاّ أن أكون عليكم ، ألا وإنه ليس لي أمر دونكم إلا أن مفاتيح مالكم معي ، ألا وإنه ليس لي أن آخذ منه درهماً دونكم رضيتم ، قالوا: نعم ، قال: اللهم اشهد عليهم ثم بايعهم على ذلك"[١].

إن هذه الخصوصية لنظام الحكم في الإسلام تدل على حق الإجماع من جانب ، وترسم للندماء دورهم في هذه المرحلة أن لا يتعدى النصيحة والتوجيه والإرشاد من جانب آخر ، حتى لا يفسح المجال للعابثين والفاسقين والمنافقين أن يزينوا للحاكم المعصية ويبعدوه عن الدور الذي تقلده في حماية الرعية والدفاع عن حقوقهم.

---

١ - الطبري: تاريخ الرسل والملوك ،٦٩٧/٢ ؛ النويري: نهاية الأرب ،١٥/٢٠؛ الصلابي: أسمى المطالب، ٢٥٢/١.

كما إن إجماع الصحابة-حكاماً ومحكومين- في عهد الخلفاء الراشدين ليس له إلا معنى واحد وهو الفهم الصحيح لكتاب الله ، والطريق السليم للعمل بالسنة ، فهم الذين عاصروا عهد تنزيل الكتاب وعاشوا طريقة النبي(ﷺ) في إقامة حياة الناس عليه ، لأنهم أفهم الناس لروح الدين ، وأعرف الناس بمقاصد الشرع ، وأقدر الناس على التمييز بين الحق والباطل ، ومن المستبعد بل من المحال أن يجتمعوا على باطل [1] لقول النبي(ﷺ): "إن أمتي لا تجتمع على ضلالة"[2].

نستشف من خلال ذلك أن الندماء في مرحلة الخلفاء الراشدين كانوا يجلسون إلى الخليفة ليتعلموا منه ، أو يستشيرهم فيوجهوا النصح له ، ويسددوا رأيه نحو الحق والعدل ، فيتبعونه في طريقته السوية ويشاركونه القضية ، وكان الإمام علي بن أبي طالب u يقول: "يجب على الوالي أن يتعهّد أموره ، ويتفقّد أعوانه ، حتى لا يخفى عليه إحسان محسن ، ولا إساءة مسيء ، ثم لا يترك واحداً منهما بغير جزاء ، فإن ترك ذلك تهاون المحسن ، واجترأ المسيء ، وفسد الأمر ، وضاع العمل"[3].

وعلى المجمل إن أبرز ما يميز حياة الخلفاء الراشدين هي مجالس العلم والإرشاد الديني ، وكان الخليفة يزخر مجلسه بالعلماء والفضلاء من الصحابة الذين اشتهروا برواية الحديث ونقده ، وحفظ القرآن وتفسيره ، وفقه أمور الدين وأحكامه.

---

١ - الصلابي: أسمى المطالب، ١/٣٠٠.

٢ - ابن ماجة: السنن ،٢/١٣٠٣؛ ابن أبي عاصم: السنة ،١/ ٤١؛ ابن رجب الحنبلي: جامع العلوم والحكم، ١/٦٩.

٣ - أبو هلال العسكري: الصناعتين، ص ٢١٤؛ القلقشندي: صبح الأعشى ،٢/٣٢٥.

المبحث الثالث

أحوال الندماء
في العصر الأموي(٤١ـ ١٣٢هـ)

شهدت الدولة العربية الإسلامية في عهد الأمويين تطوراً كبيراً نحو المدنِّية والحياة الحضرية فقد اهتم الخلفاء والأمراء في بناء القصور الفارهة الفخمة وملئوها بالرياش والأثاث الذي يجلب من الأقطار المجاورة ، وحبذوا اقتناء الجواري والغلمان وأدخلت الكثير من الثقافات والعادات الغريبة عن مثل الإسلام وتعاليمه التي لم يعهدها العرب المسلمون من قبل ، منها ما اقتبس من نظم الحياة عند الأمم المجاورة من جهة ، وبعضها ما استحدثه الأمراء والولاة من تقاليد وأعراف عند العرب في الجاهلية من جهة ثانية ، وقد شمل ذلك كل ما يخص الخليفة أو الأمير في قصره وحاشيته ، ولاشك أن الندماء قد تأثروا بهذا التقليد فمالوا إليه وساروا عليه لأن الناس على دين ملوكهم.

كان أمراء البيت الأموي عند قيام دولتهم وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان(٤١-٦٠هـ) يستمعون في أوقات فراغهم لقصائد الشعراء وأيام العرب وأخبار الأمم المجاورة من قبل أناس اشتهروا برواية الأخبار منهم عبيد بن شريه[(١)] حتى

١ - هو عبيد بن شريه الجرهمي، من أهالي صنعاء، وكان عالماً بأيام العرب وأحاديثها، وله كتاب الأمثال، وكتاب الملوك وأخبار الماضين، توفي سنة ٦٧هـ. المسعودي: مروج الذهب ،١/ ٢٠٣؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء ،١٥٨٣/٤ ؛ الزركلي: الأعلام، ١٨٩/٤.

أنه كان يدون تلك الأخبار ليستفيد منها في اكتساب الخبرة وتسييس الأمور وإدارة الدولة[1].

ثم تطور الأمر فلم يقتصر الندماء على رواية الأخبار والأشعار فأخذوا يجلبون معهم من اشتهر بالعزف والغناء وبذلك أصبحت قصور الأمويين تعج بالمغنين والموسيقيين الذين أخذوا يجلسون إلى الخلفاء ليلاً ونهاراً يُمتعونهم ويُطربونهم ، إلاّ أنه كان بينهم وبين الخلفاء ستارة ، يقول المسعودي: "لم تكن أمة من الأمم بعد فارس والروم ، أولع بالملاهي والطرب من العرب"[2].

وعن أحوال ملوك بني أمية مع الندماء وأسلوب حياتهم العصرية يقول الجاحظ: "أما معاوية ومروان وعبد الملك والوليد وسليمان وهشام ومروان بن محمد ، فكان بينهم وبين الندماء ستارة ، وكان لا يظهر أحد من الندماء على ما يفعله الخليفة ، إذا طرب للمغنى والتذه ، حتى ينقلب ويمشي ويحرك كتفيه ، ويرقص ، ويتجرد حيث لا يراه إلا خواص جواريه ، إلا أنه كان ، إذا ارتفع من خلف الستارة ، صوت أو نعير طرب أو رقص أو حركة بزفيرٍ تجاوز المقدار ، قال صاحب الستارة: حسبك يا جارية كفي انتهى أقصري يوهم الندماء أن الفاعل لذلك بعض الجواري ، فأما الباقون من خلفاء بني أمية ، فلم يكونوا يتحاشون أن يرقصوا أو يتجردوا ، ويحضروا عراةً بحضرة الندماء والمغنين ، وعلى ذلك ، لم يكن أحد منهم في مثل حال يزيد بن عبد الملك ، والوليد بن يزيد في المجون والرفث بحضرة الندماء ، والتجرد ، ما يباليان ما صنعا"[3].

وكان من طرائف معاوية بن أبي سفيان أن يجلس إليه أصناف الناس ينادمونه ، وكان مجلسه يعج بالمحدثين ، والفقهاء والأدباء ، والأعراب والسفهاء ،

---

١ - سهيل زكار: التاريخ عند العرب، ص١٠.

٢ - ينظر: مروج الذهب، ٤/٤٥٧.

٣ - ينظر: التاج في أخلاق الملوك، ص ٣٠.

وفي يوم بينما معاوية جالس في أصحابه إذ قيل له: الحسن بن علي u بالباب، فقال معاوية: إنه إن دخل علينا أفسد ما نحن فيه، فقال له مروان بن الحكم: إئذن له فإني أسأله عما ليس عنده فيه جواب، قال معاوية: لا تفعل فإنهم قوم ألهموا الكلام، وأذن له، فلما دخل وجلس قال له مروان: أسرع الشيب إلى شاربك يا حسن، إنّ ذلك من الخوف، قال الحسن: ليس كما بلغك، ولكنا معشر بني هاشم طيبة أفواهنا، عذبة شفاهنا، فنساؤنا يقبلن علينا بأنفاسهنّ وقبلهنّ، وأنتم معشر بني أمية فيكم بخر شديد — أي رائحة الفم الكريهة- ، فنساؤكم يصرفن أفواههنّ وأنفاسهنّ عنكم إلى أصداغكم، فإنما يشيب منكم موضع العذار من أجل ذلك، قال مروان: أما إنّ فيكم يا بني هاشم خصلة سوء، قال: ما هي، قال: الغلمة، قال: أجل، نُزعت الغلمة من نسائنا ووضعت في رجالنا، ونُزعت الغلمة من رجالكم ووضعت في نسائكم، فما قام لأموية إلاّ هاشمي، فغضب معاوية وقال: قد كنت أخبرتكم فأبيتم حتى سمعتم ما أظلم عليكم بيتكم وأفسد مجلسكم، فخرج الحسن رضوان الله عليه وهو يقول:

ومارست هذا الدهر خمسين حجة وخمساً أرجي قابلاً بعد قابل

فما أنا في الدنيا بلغت جسيمها ولا في الذي أهوى كدحت بطائل

وقد أشرعت في المنايا أكفها وأيقنت أني رهن موت معاجل(١)

وكان معاوية بن أبي سفيان صاحب أذن موسيقية يتذوق الشعر الجميل ويصغي إلى الصوت الأصيل، روي أن عبد الله بن جعفر(٢) دعاه يوماً إلى منزله

---

١ - ابن عبد ربه: العقد الفريد، ١٠٤/٤؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ،٦٨/٢؛ صفوت: جمهرة خطب العرب، ١٣٠/٢.

٢ - هو أبو جعفر عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي، أمّه أسماء بنت عميس، ولد بالحبشة وهو أول مولود في الإسلام يولد هناك، كان جواداً كريماً حليماً، يعرف ببحر الجود والحلم، روى عن النبي (ﷺ)، توفي سنة ٨٠هـ. ابن سعد: الطبقات=

فلما بلغ ابن جعفر حضوره أعدّ له طعاماً ، وأحضر ابن صيّاد المغني ، ثم تقدم إليه يقول: إذا رأيت معاوية واضعاً يده في الطعام فحرّك أوتارك وغنّ ، فلما وضع معاوية يده في الطعام حرّك ابن صياد أوتاره وغنى بشعر عدي بن زيد (1) وكان معاوية يعجب به:

يا لبينى أوقدي النارا   إنّ من تهوين قد حارا

ربّ نار بتّ أرمقها   تقضم الهنديّ والغارا

ولها ظبي يؤجّجها   عاقد في الخصر زنارا

قال: فأعجب معاوية غناؤه ، حتى قبض يده عن الطعام ، وجعل يضرب برجله الأرض طرباً ، فقال له عبد الله بن جعفر: يا أمير المؤمنين ، إنما هو مختار الشعر يركّب عليه مختار الألحان ، فهل ترى به بأساً؟ قال: لا بأس بحكمة الشعر مع حكمة الألحان[2].

ومن أخبار معاوية بن أبي سفيان مع ندمائه وأصفيائه فقد روي: إنه أرق ذات ليلة ، فقال لخادمه: اذهب فانظر من عند عبد الله بن جعفر ، وأخبره إني قادم عليه ، فذهب وأخبره ، فأقام عبد الله كل من كان عنده ، فلما جاء معاوية لم ير في المجلس غير عبد الله ، فقال: مجلس من هذا؟ قال عبد الله: هذا مجلس فلان ياأمير المؤمنين ، فقال معاوية: مُره ، فليرجع إلى مجلسه حتى لم يبق إلا مجلس رجل واحد ، قال: مجلس من هذا؟ قال: مجلس رجل يداوي

=الكبرى ،٥/٢ ؛ البخاري: التاريخ الكبير ،٧/٥؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق ،٢٤٨/٢٧ ؛ النووي: تهذيب الأسماء ،٢٦٣/١.

١ – هو عدي بن زيد بن حماد بن زيد بن أيوب بن محروف بن عامر بن عصية بن امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم، شاعر جاهلي، سكن الحيرة ونادم ملكها النعمان ثم قتله بسبب وشاية، ينظر: أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ٨٩/٢– ١١١.

٢ – ابن عبد ربه: العقد الفريد ،٢٠/٧ ؛ أبو الفدا: المختصر ،١٨٩/١.

الآذان يا أمير المؤمنين ، قال: إن أذني عليلة ، فمُره أن يرجع إلى مجلسه ، وكان مجلس بديح[1] المغنيّ ، فأمره عبد الله بن جعفر ، فرجع إلى موضعه ، فقال له معاوية: داو أذني من علتها ، فتناول العود وغنى وقال:

ودّع سعاد فإنّ الرّكب مرتحلُ وهل تطيق وداعاً أيها الرجلُ

قال: فحرك عبد الله بن جعفر رأسه(أي هياماً وطرباً) ، فقال له معاوية: لم حركت رأسك ياابن جعفر؟ قال: أريحِّية أجدها ياأمير المؤمنين لو لقيت لأبليت ، ولو سئلت لأعطيت ، وكان معاوية قد خضب ، قال ، فقال ابن جعفر لبديح: هات غير هذا ، وكان عند معاوية جارية أعز جواريه عليه ، وكانت تتولى خضابه ، فغنى بديح وقال:

أليس عندك شكر للتي جعلت ما ابيضّ من قادمات الرأس كالحمم

وجددّت منك ما قد كان أخلقه صرف الزمان وطول الدهر والقدم

فطرب معاوية طرباً شديداً ، وجعل يحرك رجله ، فقال له ابن جعفر: يا أمير المؤمنين إنك سألتني عن تحريك رأسي ، فأجبتك وأخبرتك ، وأنا أسألك عن تحريك رجلك ، فقال: كل كريم طروب ، ثم قام ، وقال: لا يبرح أحد منكم حتى يأتي له إذني ثم ذهب ، فبعث إلى ابن جعفر بعشرة آلاف دينار ومائة ثوب من خاصة كسوته ، وإلى كل رجل منهم بألف دينار ، وعشرة أثواب[2].

ورب سائل يسأل كيف تطورت الأمور في الدولة العربية الإسلامية من عصر تسوده القيم الدينية من ورع وزهد وحياء من الله عز وجل ، إلى عصر تباح فيه مختلف المنكرات وتمارس فيه جميع الملذات؟ والجواب لأن من تولوا أمور

---

١ - هو أبو الحسين علي بن محمد، كان يلقب ببديح المليح، وهو مولى عبد الله بن جعفر، كانت له صنعة يسيرة، وكان ذو صوت شجي بارعاً بالعزف والغناء. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ١٦٩/١٥- ١٧٣ ؛ القفطي: أنباه الرواة ،٣٨٨/٣ ؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ٦٤/١٠.

٢ - ابن عبد ربه: العقد الفريد ،٢٠/٧؛ الأبشيهي: المستطرف، ص٣٩٥.

المسلمين ومصيرهم ركنوا إلى الدنيا ونعيمها وابتعدوا عن الآخرة وعذابها ، فتقصير الحاكم وإسرافه في حقوق الله يؤول إلى نتائج سلبية على المجتمع ، والناس على دين ملوكهم ، فيسود الظلم وتكبح الحريات وينتشر الفساد وينعدم الأمان ، وقد أنذر الرسول(ﷺ) الأمة من مغبة هذا الأمر وعواقبه فقال: "فأبشروا وأملوا ما يُسركم فو الله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم"[١].

ومن طرائف الأخبار عند معاوية لما دخل عليه شريك بن الأعور[٢] وكان رجلاً دميماً ، فقال له معاوية: إنك لدميم والجميل خير من الدميم ، وإنك لشريك وما لله من شريك ، وإن أباك لأعور والصحيح خير من الأعور ، فكيف سدت قومك ، فقال له شريك: إنك معاوية وما معاوية إلاّ كلبة عوت فاستعوت الكلاب ، وإنك لابن صخر والسهل خير من الصخر ، وإنك لابن حرب والسلم خير من الحرب ، وإنك لابن أمية وما أمية إلا أمة صُغرت فكيف صرت أمير المؤمنين؟ ثم خرج وهو يقول[٣]:

أيشتمني معاوية بن حرب وسيفي صارم ومعي لساني
وحولي من ذوي يزن ليوث ضراغمة تهش إلى الطعان
يعِّير بالدمامة من سفاه وربات الحجال من الغواني

---

١ - البخاري: الصحيح ،٨٤/٥؛ مسلم: الصحيح ،٢١٢/٨؛ الترمذي: السنن ،٦٤٠/٤؛ النسائي: السنن الكبرى ،٨٩/٨.

٢ - شريك بن الأعور الحارثي كان عاملا لعبد الله بن عامر على فارس والأحواز في خلافة عثمان بن عفان وكرمان لعبيد الله بن زياد، وآوى مسلم بن عقيل في الكوفة وحظه على قتل عبيد الله بن زياد، وتوفي سنة ٦٠هـ. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣٠١/٤، ٣٦١- ٣٦٢.

٣ - الزمخشري: ربيع الأبرار ،٧٢/٢؛ الأبشيهي: المستطرف ،ص٦٩؛ الهمذاني: الكشكول ،٢٧٤/١.

وشهد عصر يزيد بن معاوية(٦٠-٦٤هـ) استهتاراً بالقيم الأخلاقية والدينية إذ كان " فاسقاً يجاهر بالخمرة ويتباهى باحتسائها ويقضي أوقاته في المعصية مع المغنين والندماء لا يرده خلق ، ولا يزجره خوف ، ولما تحقق لمعاوية أن يزيد يشرب الخمر ، عز عليه ذلك وأنكر عليه وقال: إن رسول الله(ﷺ) قال: من ابتلي بشيء من هذه القاذورات فليستتر ، وإنك تقدر على بلوغ لذتك في ستر فتماسك عن الشرب... ثم دعته نفسه لما اعتاده فجلس على شرابه ، فلما استخفه الخمر وداخله الطرب قال يشير إلى أبيه[١]:

أمن شربة من ماء كرم شربتها غضبت عليَّ الآن طاب ليَ السكرُ

سأشرب فاغضب لا رضيت كلاهما حبيب إلى قلبي عقوقك والخمرُ

وسمع يزيد بن معاوية الغناء[٢] ، ولم يجعل بينه وبين ندمائه ستر وروي أنه كان: "صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود وفهود ومنادمة على الشراب ، وجلس ذات يوم على شرابه ، وعن يمينه ابن زياد[٣] ، وذلك بعد قتل الإمام الحسين u ، فأقبل على ساقيه فقال:

أسقني شربة تروي مشاشي ثم مِلْ فاسق مثلها ابن زيادِ

صاحب السرّ والأمانة عندي ولتسديد مغنمي وجهادي

ثم أمر المغنين فغنوا به"[٤].

---

١ - ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات ،٢/٦٤٥.

٢ - الجاحظ: رسائل الجاحظ ،٢/١٥٩.

٣ - هو أبو حفص عبيد الله بن زياد بن أبيه، وكان يعرف بابن مرجانة، أمير العراق، وكان ظالماً غاشماً فاسقاً، قتل على يد المختار الثقفي في الكوفة سنة ٦٤هـ. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٤٣٣/٣٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ،٤/٥٠٨.

٤ - المسعودي: مروج الذهب، ٣٧٧/١.

لقد أصبحت المجاهرة بالخمرة في مجلس الخليفة سابقة خطيرة في عهد يزيد بن معاوية ، إذ استهواها الكثير من الندماء في مجالسهم وسمرهم حتى نرى أحدهم يقول(١):

أرى للكأس حقاً لا أراه لغير الكأس إلاّ للنديم

هو القطب الذي دارت عليه رحى اللذات في الزمن القديم

ويقول آخر(٢):

طربتُ إلى الصبوحِ مع الصباحِ وشربِ الكأس في غررٍ وضاحِ

وكان الثلج كالكافور نثراً وناري قربَ نارنجي وراحي

حريقٌ في حريقٍ في حريقٍ وصبحٌ في صباحٍ في صباحِ

وكان من سفاهة يزيد ومجونه روي أنه اتخذ قرداً وجعله نديماً له ، وكان يجعله بين يديه ويكنيه أبا قيس ، ويقول: هذا شيخ من بني إسرائيل أصاب خطيئة فمسخ ، وكان يسقيه النبيذ ويضحك منه ، وكان يحمله على أتان — أي حمار وحش- فحمله يوماً وجعل يقول (٣):

تمسك أبا قيس بفضل عنانها فليس عليها إن هلكت ضمان

فقد سبق خيل الجماعة كلها وخيل أمير المؤمنين أتان

وجاء في ذلك اليوم أبا قيس ريح فمال ميتاً والأتان معه ، فحزن عليه وأمر بدفنه ، بعد أن كفنه ، وأمر أهل الشام أن يعزوه فيه ، وأنشأ يقول(٤):

---

١ - أبو هلال العسكري: ديوان المعاني ،ص٣١٨؛ الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء، ٧٩٣/١؛ النويري: نهاية الأرب ،١٢٧/٤.
٢ - الشيزري: البديع في نقد الشعر، ص٦٩؛ الأبشيهي: المستطرف ،٤١٠/٢.
٣ - الزجاجي: الأمالي ،٦٩/١ ؛ الآبي: نثر الدر، ٢٢/٣؛ الوطواط: غرر الخصائص، ص٨٥ ؛ ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، ٣٣١/٤.
٤ - ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، ٣٣١/٤.

لم يبق قرم كريم ذو محافظة ... إلاّ أتانا يعزي في أبي قيس

شيخ العشيرة أمضاها وأحملها ... له المساعي مع القريوس والديس

لا يبعد الله قبراً أنت ساكنه ... فيه الجمال وفيه لحية التيس

وكان عبد الملك بن مروان(٦٥-٨٦هـ) يشجع على المجالسة والسمر وسماع الأحاديث ورواية الأخبار وحب القصائد والأشعار حتى يروى أنه كتب إلى عامله على العراق الحجاج قائلاً: "إنه لم يبق من لذة الدنيا شيءٌ إلا وقد أصبت منه ، ولم يبق إلا مناقلة الحديث ، وقبلك عامر الشعبي[1] ، فابعث به إليّ يحدثني ، فبعث الحجاج بالشعبي وأطراه في كتابه ، فخرج الشعبي حتى صار بباب عبد الملك فقال للحاجب: استأذن لي ، فقال الحاجب: ومن أنت رحمك الله ، قال: أنا عامر الشعبي ، فنهض الحاجب وأجلسه على كرسيه ، فلم يلبث الحاجب أن أدخله ، قال الشعبي: فدخلت فإذا عبد الملك على كرسي ، وإذا بين يديه رجلٌ أبيض الرأس واللحية على كرسي آخر ، فسلمت ، فرد السلام ثم أومأ بقضيبه فقعدت على يساره ، ثم أقبل على رجل عنده ، فقال: ويحك من أشعر الناس؟ قال: أنا يا أمير المؤمنين ، قال الشعبي: فأظلم ما بيني وبين عبد الملك من البيت ، ولم أصبر أن قلت: من هذا ياأمير المؤمنين الذي يزعم أنه أشعر الناس؟ فعجب عبد الملك من عجلتي قبل أن يسألني..."[2].

وعلى الرغم من أن عبد الملك بن مروان اتخذ الندماء والجلساء وكان

---

١ - **هو أبو عمرو عامر بن شراحيل الشعبي الكوفي، وهو تابعي جليل القدر وافر العلم، روى عن سعد بن أبي وقاص وأبي موسى الأشعري وأبي هريرة وعائشة وغيرهم توفي سنة ١٠٤هـ. الذهبي: العبر، ٧٢/١؛ اليافعي: مرآة الجنان ،١٧٠/١؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ١٢٦/١.**

٢ - **القرشي: جمهرة أشعار العرب ،٧١/١؛ أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ،٢٤/١١؛ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ،١٦٢/٢٠.**

الشعبي نديمه ، إلاّ أنه لم يعاقر الشراب فقد روي: أنه لما أفضى الأمر إلى عبد الملك بن مروان تاقت نفسُه إلى محادثة الرجال والأشراف على أخبار الناس ، فلم يجد من يصلح لمنادمته غير الشَّعبي ، فلما حُمِل إليه ونادمه وحظي عنده قال له: ياشعبيُّ لا تساعدني على ما قبح ، ولا تردَ عليَّ الخطأ في مجلسي ، ولا تكلفني جواب التشميت والتهنئة ، ولا جواب السؤال والتعزية ، ودع عنك كيف أصبح الأمير وكيف أمسى ، وكلمني بقدر ما أستطعمك واجعل بدل المدح لي صواب الاستماع مني ، وأعلم أن صواب الاستماع أكثر من صواب القول ، وإذا سمعتني أتحدث فلا يفوتنّكَ منه شيء ، وأرني فهمك في طرفك وسمعك ، ولا تجهد نفسك في تطرية جوابي ، ولا تستدع بذلك الزيادة في كلامي ، فإن أسوأ الناس حالاً من استكد الملوك بالباطل ، وإن أسوأ حالاً منهم من استخف بحقهم ، واعلم يا شعبي أن أقل من هذا يذهب بسالف الإِحسان ، ويسقط حتى الحرمة ، فإن الصمت في موضعه ربما كان أبلغ من المنطق في موضعه ، وعند إصابته فرصة[١].

وكان عبد الملك يحب مجالسة الشعراء ، ومنادمتهم ، لأنه كان شغوفاً بالشعر وروايته ، لكونه ذا ملكة نقدية ، مكنته أن يصدر أحكاماً على ما يدور في مجلسه منه ، وكثيراً ما كان يطلب من جلسائه أن يتخيروا بعض الأبيات المشهورة للمناظرة ، وكان يعطي حكمه فيها[٢].

ولعل ما حظي به الشاعر جرير[٣] عنده من مكانة ومنزلة خير دليل على

---

١ - المسعودي: مروج الذهب، ٣٨٨/١.

٢ - جمال محمد سرحان: المسامرة والمنادمة عند العرب، ص٣٩- ٤٠.

٣ - هو أبو حزرة جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبي اليربوعي من تميم.وكان أشعر أهل عصره، وعاش عمره كله يناضل شعراء زمنه ويساجلهم فلم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل، كان عفيفاً، وهو من أغزل الناس شعراً. توفي باليمامة سنة ١١٠هـ. ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص٤٥٦ ؛ ابن الجوزي: المنتظم ،١٤٤/٧؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ،٤٠/٧.

ذلك ، حيث روي أنه نُعِتَ جريراً إلى عبد الملك بأنه أشعر الناس ، وكان عبد الملك لم يلتقي به أو يسمعه ، ولم تكن عنده فكرة عن شاعريته الكبيرة يقول جرير: فلما رأيت سوء رأيه ، أنشأت أقول:

أتصحو أم فؤادك غير صاح... فقال: ذاك فؤادك ، ثم أنشدته ، حتى بلغت البيت الذي سره ، وهو قولي:

ألستم خير من ركب المطايا   وأندى العالمين بطون راح

فاستوى جالساً ، وكان متكئاً ، فقال: بلى نحن كذلك ، أعد ، فأعدت ، فأسفر لونه[١].

ولم يكن عبد الملك بن مروان صاحب هزل إلا أنه كان يأنس بكلام المغنين ، فيروى أنّ ألمًا أصاب رجله فأرسل إلى بديح غلام عبد الله بن جعفر بن أبي طالب "فقال له عبد الملك: كيف رقيتك من عرق النّسا؟ قال: أرقى الخلق ياأمير المؤمنين ، فسرّي عن عبد الله بن جعفر لأنّ بديحاً كان صاحب فكاهة يعرف بها ، فمدّ رجله فتفل عليها ورقاها مراراً ، فقال عبد الملك: الله أكبر وجدت والله خفّا ، يا غلام ادع فلانة حتى تكتب الرقية فإنّا لا نأمن من هيجها بالليل ، فلا نذعر بديحاً ، فلما جاءت الجارية قال بديح: ياأمير المؤمنين امرأته الطلاق إن كتبتها حتى تعجّل حبائي ، فأمر له بأربعة آلاف درهم ، فلما صارت بين يديه قال: وامرأته الطلاق إن كتبتها حتى يصير المال في منزلي ، فلما أحرزه قال: ياأمير المؤمنين وامرأته الطلاق إن كنت قرأت على رجلك إلا أبيات نصيب:

ألا إنّ ليلى العامرية أصبحت   على النأي مني ذنب غيري تنقم

وهي أبيات مشهورة ، قال: ويلك ما تقول؟ قال: امرأته الطلاق إن كان رقاك إلّا بما قال ، قال: فاكتمها عليّ ، قال: وكيف وقد سارت بها البرد إلى أخيك

١ - **الجاحظ: التاج في أخلاق الملوك، ص١٣٣؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد ،٣٣١/١.**

بمصر ، فضحك عبد الملك حتى فحص برجله"[1].

في واقع الأمر لقد كان يرتاد مجلس عبد الملك شعراء كثيرون كان ينادمهم ، ولعل بعضهم كان مخموراً وثملاً فيتجرأ بقول الأشعار التي فيها خروج عن الأدب أو العفة منهم الأخطل[2] ، فيروى أنه قال للأخطل: صف لي الخمر ، قال: أولها صداع وآخرها خمار ، قال: فما يعجبك منها؟ قال: أن بينهما طربة لا يعدلها ملكك ، وأنشأ يقول[3]:

إذا ما نديمي علّني ثم علني — ثلاث زجاجات لهن هدير

خرجت أجر الذيل حتى كأنني — عليك أمير المؤمنين أمير

وعلى الرغم من أن حياة هؤلاء الشعراء الندماء مليئة بالعبث والمجون إلاّ أننا يجب أن ننوه إلى مسألة وهي أنهم كانوا في بعض الأحيان يقولون الكلام الجميل الذي فيه الموعظة الحسنة فيُذكِر الخليفة بالموت والآخرة ولاسيما إذا طلب الخليفة منهم ذلك ، فقد أنشد الأخطل عبد الملك[4]:

الناس همهم الحياة ولا أرى — طول الحياة يزيد غير خبال

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد — ذخراً يكون كصالح الأعمال

---

١ - أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ١٦٩/١٥ ؛ ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٣٤٣/٤ – ٣٤٤ ؛ الأبشيهي، المستطرف، ص٤٧٠.

٢ - هو أبو مالك غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة ابن عمرو التغلبي النصراني، شاعر زمانه فناً ونظماً وغزارة، قدم على الأمويين فأكرموه وقربوه وأجزلوا له العطاء، توفي سنة ٩٠هـ. ابن سلام: طبقات فحول الشعراء ،٤٥١/٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ،٥٨٩/٤؛ الزركلي: الأعلام،١٢٣/٥؛ شيخو: شعراء النصرانية ،١٧٠/٨.

٣ - أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ٣٣٧/٢٠؛الزمخشري: ربيع الأبرار ،١٣/٥؛ النويري: نهاية الأرب،١٠٥/٤.

٤ - الثعالبي: التمثيل والمحاضرة ،ص٧١؛ الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء ،٥١٧/٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ،٥٨٩/٤.

واتخذ سليمان بن عبد الملك(٩٦-٩٩هـ) رجاء بن حيوة[١] مشاوراً ونديماً ، وعندما حضرته الوفاة قال لرجاء: "يا رجاء من لهذا الأمر من بعدي أستخلف ابني قال: ابنك غائب ، قال: فالآخر ، قال: ذاك صغير ، قال: فمن ترى ، قال: أرى أن تستخلف عمر بن عبد العزيز ، قال: أتخوف بني عبد الملك ألاّ يرضوا ، قال: فول عمر بن عبد العزيز ومن بعده يزيد بن عبد الملك وتكتب كتاباً وتختم عليه وتدعوهم إلى بيعته مختوماً عليها ، قال: لقد رأيت ائتني بقرطاس ، قال: فدعا بقرطاس فكتب فيه العهد لعمر بن عبد العزيز ومن بعده يزيد بن عبد الملك ثم ختمه ثم دفعه إلى رجاء ، قال: أخرج إلى الناس فمرهم فليبايعوا على ما في هذا الكتاب مختوماً"[٢].

أما عمر بن عبد العزيز(٩٩-١٠١هـ) فقال الجاحظ لما سُئل عنه: "فعمر بن عبد العزيز ما طنّ في سمعه حرف غناء ، منذ أفضت الخلافة إليه إلى أن فارق الدنيا ، فأمّا قبلها ، وهو أمير المدينة ، فكان يسمع الغناء ، ولا يظهر منه إلاّ الأمر الجميل ، وكان ربما صفَّق بيديه ، وربما تَّمرغ على فراشه ، وضرب برجليه وطرب ، فأما أن يخرج عن مقدار السرور إلى السخف ، فلا"[٣].

واتخذ رجاء بن حيوة الكندي أيضا مشاوراً ونديماً ، وكان رجاء رجلاً صالحاً ، رويَ أنه قال "لعمر بن عبد العزيز يعزيه عن ابنه أكان أبيك يا أمير المؤمنين يخلق؟ قال: لا ، أفكان يرزق؟ قال: لا ، قال: فما جزعك على مخلوق مرزوق الله خير له منك وثواب الله خير لك منه"[٤].

---

١ - هو رجاء بن حيوية بن جندل بن الأحنف بن السمط بن امرئ القيس بن عمرو بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة الأردني الفلسطيني ، فقيه من التابعين، كان ملازما لعمر بن عبد العزيز، وتوفي سنة ١١٢هـ، ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٩٦/١٨- ١١٦.

٢ - ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٥٩/٤٥.

٣ - ينظر: التاج في أخلاق الملوك ،ص٣١.

٤ - ابن عساكر، تاريخ دمشق، ١١٢/١٨.

ومن ندمائه أيضاً محمد بن كعب[1] وسالم بن عبد الله[2] ، فبعث إليهم وإلى رجاء بن حيوة وكانوا من المقربين إليه ، "فحضروا فقال لهم: قد ترون ما قد ابتليت به ، وما قد نزل بي فما عندكم ، فقال محمد بن كعب: يا أمير المؤمنين اجعل الناس أصنافاً ثلاثة اجعل الشيخ أباً والنصف أخاً والشاب ولداً فبر أباك وصل أخاك وتعطف على ولدك ، وقال لرجاء بن حيوة: ما تقول يا رجاء ، فقال: يا أمير المؤمنين ارض للناس ما ترضى لنفسك وما كرهت أن يؤتى إليك في تأته إليهم واعلم أنك لست أول خليفة تموت ، وقال لسالم بن عبد الله: ما عندك يا سالم ، قال يا أمير المؤمنين: اجعل الأمر يوماً واحداً صرفته عن شهوات الدنيا آخر نظرك فيه الموت"[3].

أما يزيد بن عبد الملك(١٠١-١٠٥هـ) فكان يبالغ في المجون بحضرة الندماء ، كما سوَّى بين الطبقة العليا والسفلى ، وأذِنَ للندماء في الكلام والضحك والهزل في مجلسه ، فلم يتورعوا في الرد عليه ، واتَّخذ جاريتين نديمتين له هما حبابة وسلاَّمة[4] ، وأدخل الرجال عليهنَّ للسَّماع ، فقال الشاعر في حبابة:

إذا ما حنَّ مزهرها إليها   وحنَّتْ دونه أُذن الكرامِ

وأصغوا نحوه الآذان حتَّى   كأنّهم وما ناموا نيامِ

---

١ - هو محمد بن كعب بن حيان القرظي حليف الأوس، كان محدث ثقة من التابعين، توفي سنة ١٠٨هـ، ينظر: ابن سعد، الطبقات، ٣٤٠/٥ ؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٣٠/٥٥- ١٥٢.

٢ - هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي محدث ثقة توفي سنة ١٠٦هـ، ينظر: ابن سعد، الطبقات، ١٤٩/٥- ١٥٥ ؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٤٨/٢٠- ٧٧.

٣ - ابن عساكر، تاريخ دمشق، ١٧٠/٤٥.

٤ - وهنّ جاريتين جميلتين، يمتلكن صوتين نديين فضلاً عن مواهبهما في العزف والرقص والغناء، ينظر: أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ٣٤٧/٨.

وقال في سلاَّمة:

ألم ترهـــا، والله يكفيـــك شـــرَّها إذا طرَّبـتْ في صـوتها كيـف تصـنعُ

تــردُّ نظـــام القـــول حتَّـــى تـــردَّه إلى صُلصُـلٍ مــن حلقهــا يترجَّـــعُ

وكان يسمع فإذا طرب شقَّ برُده ثم يقول: أطير، فتقول حبّابة: لا تطير، فإنَّ بنا إليك حاجة[1]، وفي رواية تقول له: فطر إلى النار وبئس المصير[2].

وكان يزيد بن عبد الملك قد بلغ به الفسق مع ندمائه أن يتجرد من كل حياء وورع وخوف من الله عز وجل: وكان يأكل الحرام، ويلبس الحلّة بألف دينار، قد ضربت فيها الأبشار، وهتكت الأستار، حبابة عن يمينه وسلامة عن يساره تغنّيانه، حتى إذا أخذ الشراب فيه كلّ مأخذ قدّ ثوبه – أي شقه- ثم التفت إلى إحداهما فقال: ألا أطير، فقالت: نعم طر إلى النار وبئس المصير[3].

ومن مجونه أيضاً على شرابه قوله لساقيه[4]:

أســـقني يـــا يزيـــد بالقرقـــارة قـــد طربنـــا وحنّـــت الزّمّـــارة

أســـقني اســـقني فـــإنّ ذنـــوبي قـــد أحاطـــت فمـــا لهـــا كفّـــاره

وروي: أنه قد ترك لشغله باللهو الظهور للعامّة وشهادة الجمعة، فقال له مسلمة أخوه: ياأمير المؤمنين، قد تركت الأمور وأضعت المسلمين وقعدت في منزلك مع هاتين الأمتين، فارعوي قليلاً واظهر للناس، فقالت حبابة للأحوص[5]: قل شعراً أغني به أمير المؤمنين، فقال:

---

١ - الجاحظ: رسائل الجاحظ، ١٥٩/٢.

٢ - ابن عبد ربه: العقد الفريد ،٢٣٠/٤؛ الآبي: نثر الدر ،١٤٤/٥.

٣ - الجاحظ: البيان والتبيين، ٢/ ٨٥؛ ابن قتيبة: عيون الأخبار ،٢٧٢/٢.

٤ - ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ١١١/٢.

٥ - هو الأحوص بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري، شاعر ماجن، وكان الأحوص يرمى بالأبنة والزّنا، وشُكيَ إلى عمر بن عبد العزيز فنفاه من المدينة إلى قرية

ألا لا تـــه اليــــوم أن يتبلــــــدا | فقــد منــع المحــزون أن يتجلـــدا
إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى | فكن حجر من يابس الصخر جلمدا
هـل العـيش إلا مــا تلـذ وتشتهــي | وإن لام فيـــه ذو الشنـــآن وفنّـــدا

ثم غنّتا يزيد به ، فضرب بخيزرانته الأرض ، وقال: صدقت صدقت ، وعاد لحالته الأولى ، إلى أن ماتت حبابة ، ثم مات بعدها بأيام حزناً عليها ووجداً[1].

كما روي أنه قال لندمائه: إن الدنيا لم تصفُ لأحد قط يوماً ، فإذا خلوت يومي هذا فاطووا عني الأخبار ، ودعوني ولذتي وما خلوتُ له ، ثم دعا بحبابة ، فقال: أسقيني وغنيني ، فخلوا في أطيب عيش ، فتناولت حبابةُ حبة رمان ، فوضعتها في فيها ، فغصت بها فماتت ، فجزع يزيد جزعاً أذهله ومنه من دفنها ، حتى قال له مشايخ بني أمية: إن هذا عيب لا يستقال ، وإنما هذه جيفة ، فأذنَ في دفنها ، وتبع جنازتها ، فلما واراها قال: أمسيت والله فيك كما قال كثيرٌ[2]:

فإن تسلُ عنك النفس أو تدعِ الهوى | فباليـأس تسـلو عنـك لا بالتجلـدِ
وكـل خليـلٍ رائـني فهـو قائـلٌ | مـن أجلـك هـذا هامـة اليـوم أو غـدِ

من قرى اليمن على ساحل البحر، فدخل إليه عدّة من الأنصار فكلّموه فيه، وسألوه أن يردّه إلى المدينة فلم يرده، ثم رده يزيد بن عبد الملك وجعله نديمه وشاعره. ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص ٥٠٩.

١ - ابن قتيبة: الشعر والشعراء،١/٥١٠- ٥١١؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ٦٦/٧ ؛الحصري: زهر الآداب، ٤٠٦/٢.

٢ - هو كثير بن عبد الرحمن بن الاسود بن عامر الخزاعي شلعر من أهل المدينة، وكان قصيرا دميما، وقع في حب عزة بنت جميل الضمرية، وكان عفيفا في حبه، توفي سنة ١٠٥هـ. ينظر: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٤٩٤/١- ٥٠٨.

فعد بينهما خمسة عشر يوماً ومات بعدها[١].

وكان قد طلب من رجاء بن حيوة أن يصحبه "فأبى واستعفاه فقال له عقبة بن وساج إن الله ينفع بمكانك قال إن أولئك الذين تريد قد ذهبوا فقال له عقبة: إن هؤلاء قوماً قلّ ما باعدهم رجل بعد مقاربة إلا ركبوه ، قال: إني أرجو أن يكفينيهم الله الذي أدعهم له"[٢].

أما الوليد بن يزيد(١٢٥-١٢٦هـ) ، فكان يدعى خليع بني مروان ، وكان على درجة كبيرة من الفسق والفجور ، فقرّب إليه الندماء والشعراء ، قيل أنه بعث إلى جماعة من أهله لما ولي الخلافة فقال أتدرون لم دعوتكم؟ قالوا: لا ، قال: ليقل قائلكم ، فقال رجل منهم: أردت يا أمير المؤمنين أن ترينا ما جدد الله لك من نعمته وإحسانه فقال: نعم ولكني

أُشهِد الله والملائكةَ الأبرار ... والعابدين أهلَ الصلاحِ
أنني أشتهي السَّماع وشربَ الكأ ... س والعض للخدود الملاح
والنديمَ الكريم والخادمَ الفا ... رِه يسعى عليّ بالأقداح[٣]

وكان له مقولة مشهورة: "لا تؤخر لذة اليوم إلى غد"[٤].

ونادم مغنّ ماجن يقال له الغزيّل[٥] ، وكان يجلس إليه طوال اليوم يستمع

---

١ - المبرد: الكامل في اللغة والأدب ،١٨٨/٢؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد ،٦٧/٧؛ أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ،١٥٠/١٣.

٢ - ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١١٠/١٨.

٣ - أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ،٧/ ٢٩؛ ابن حمدون: التذكرة الحمدونية ،٧٣/١.

٤ - الثعالبي، الإعجاز والإيجاز، ص ٨٠ ؛ جمال محمد سرحان: المسامرة والمنادمة، ص٤٨.

٥ - هو أبو كامل الغزيل مولى الوليد بن يزيد ، وقيل بل كان مولى أبيه، بل كان أبوه مولى عبد الملك، وكان مغنياً محسناً وطيباً مضحكاً، ولم يسمع له خبر بعد أيام بني أمية، ولعله مات في أيامهم أو قتل معهم. أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ١٠٤/٧.

لغنائه ويطرب ، وفيه يقول الوليد بن يزيد[1]:

مــن مبلــغ عنّــي أبــا كامــل ... أنــي إذا مــا غــاب كالهابــل

وكان الغزيل يشجع الوليد بن يزيد على الإسراف في اللذة ومعاقرة الشراب ومن غنائه في الخمر[2]:

امــدح الكــأس ومــن أعملــها ... واهــج قومــاً قتلونــا بالعطــش

إنمــا الكــأس ربيــعٌ باكــرٌ ... فــإذا مــا لم نــذقها لم نعــش

لقد أخذ الندماء من بعض الخلفاء والأمراء الأمويين كل مأخذ فتحكموا في أوقاتهم وملكوا شغاف قلوبهم وغرقوا في بحر من اللذات والشهوات معهم ، فأغدقوا الأموال والهبات عليهم ، ومن ذلك ما روي أن النديم أبا كامل غنى الوليد بن يزيد ذات يوم فقال:

نــام مــن كــان خليــاً مــن ألَــمْ ... وبدائــي بــتُّ ليلــي لم أنَــمْ

أرقُــب الصــبحَ كــأني مُســندٌ ... في أكــفّ القــوم تَغْشــاني الظُّلَــمْ

إنّ ســلمى ولنــا مــن حبّهــا ... دَيْــدَنٌ في القلــب مــا اخضَــرّ السَّــلَمْ

قــد سَــبتني بشَتيــتٍ نبتُــهُ ... وثنايــا لم يَعِــبْهنّ قَضَــمْ

فطرب الوليد وخلع عليه قلنسية وشيّ مُذهبة كانت على رأسه ، فكان أبو كامل يصونها ولا يلبسها إلا من عيد إلى عيد ويمسحها بكمه ويرفعها[3].

ومن ندمائه بديح وهو أحلى الناس وأذكاهم ، ومرة قال له الوليد بن يزيد: يا بديح ، خذ بنا في الأماني فإني أغلبك فيها! فقال: يا أمير المؤمنين ، أنا أغلبك لأني فقير وأنت خليفة ، وإنما يتمنى المرء ما عسى أن يبلغ إليه وأنت قد بلغت

---

١ - ابن عبد ربه: العقد الفريد، ٣٤/٧.

٢ - المصدر نفسه، ٣٤/٧ ؛ أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ١٢٥/٧.

٣ - أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ١٠٤/٧.

الآمال ، قال: لا تتمنى شيئاً إلاّ تمنيت ما هو أكثر منه ، قال: فإني أتمنى كفلين من العذاب وأن يلعنني الله لعناً وبيلاً ، فخذ ضعفي ، فقال: أغرب لعنك الله دون خلقه[١].

وكان يدعو أهل الهزل والضحك لينادموه مجلسه ويشاركونه شرابه ، ومن أبرز مَنْ لازمه هو أشعب الطفيلي[٢] وكان أبرز مضحكاً ، له مواقف يكتنفها المزاح والسفاهة حفلت بها كتب الأدب ، يروى أن الوليد كتب إلى المدينة فحُمل إليه أشعب ، فألبسه سراويل جلد قرد له ذنب ، وقال له: ارقص وغنّ صوتاً يعجبني ، فإن فعلت أعطيتك ألف درهم ، فرقص وغنى فأعجبه ، فأعطاه ألف درهم ، وأنشد الوليد هذا[٣]:

علّلانـــي واسقيانـــي	مـــن شـــراب أصـــفهاني
مـن شـراب الشـيخ كسـرى	أو شــــراب الهرمــــزان
إنّ بالكـــأس لمســـكاً	أو بكفّـــي مـــن سقانـــي
إنمـــا الكـــأس ربيـــع	يتعـــاطى بالبنــــان

إلا أن أحوال الندماء لم تستمر على هذه الشاكلة ففي عهد مروان بن محمد لما تولى الخلافة(١٢٧-١٣٢هـ) تغيرت تلك الأمور إذ حاول أن يرجع لمؤسسة الخلافة هيبتها ، فاستقدم العلماء والمحدثون إلى مجلسه ، وقد اختص منهم بالجعد بن درهم[٤] مؤدباً ، كما اتخذ عبد الحميد الكاتب[١] جليساً وكاتباً

---

١ - ابن قتيبة: عيون الأخبار، ٣٧٣/١ ؛ الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء ،٢٠/١.

٢ - هو أبو العلاء أشعب بن جبير المعروف بالطامع، توفي بالمدينة سنة ١٥٤هـ. ابن عبد ربه: العقد الفريد، ١٩٨/٥ ؛ التنوخي: نشوار المحاضرة ،٢٧٥/٦ ؛ الآبي: نثر الدر ،٥/ ٢١٢؛ الميداني: مجمع الأمثال ،٤٣٩/١.

٣ - ابن عبد ربه: العقد الفريد ،٢٠٣/٥.

٤ - الجعد بن درهم كان من الموالي الفرس، من المتكلمين وقد تزندق وأخذ يقول بالقدر وخلق=

ومؤدباً لابنه عبد الله ، فكان يتحفه بالمواعظ والنصائح ومنها قوله: "ثم لتكن بطانتك وجلساؤك في خلواتك ، ودخلاؤك في سرّك ، أهل الفقه والورع من خاصّة أهل بيتك ، وعامّة قوّادك ممن قد حنّكته السّنّ بتصاريف الأمور ، وخبطته فصالها بين فراسن البزّل منها ، وقلّبته الأمور في فنونها ، وركب أطوارها ، عارفا بمحاسن الأمور ومواضع الرّأي وعين المشورة ، مأمون النصيحة ، منطوي الضمير على الطاعة ، ثم أحضرهم من نفسك وقارا يستدعي لك منهم الهيبة ، واستئناساً يعطف إليك منهم المودّة ، وإنصاتاً يفلّ إفاضتهم له عندك بما تكره أن ينشر عنك من سخافة الرأي وضياع الحزم ، ولا يغلبنّ عليك هواك فيصرفك عن الرأي ، ويقتطعك دون الفكر ، وتعلّم أنك- وإن خلوت بسرّ فالقيت دونه ستورك ، وأغلقت عليه أبوابك- فذلك لا محالة مكشوف للعامّة ، ظاهر عنك وإن استتر..."(٢).

=القرآن، كان مؤدباً لمروان بن محمد حتى أخذ عنه مذهبه فنسب إليه ، فكان يقال له مروان الجعدي، قتله خالد القسري في عيد الأضحى بواسط سنة ١٣٠هـ. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٩٩/٧٢؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ،٦٧/١١؛ ابن حجر: لسان الميزان، ١٠٥/٢.

١ - هو عبد الحميد بن يحيى بن سعد مولى بني عامر بن لؤي بن غالب، الكاتب البليغ المشهور؛ وبه يضرب المثل في البلاغة، حتى قيل فتحت الرسائل بعبد الحميد، وختمت بابن العميد، وكان في الكتابة وفي كل فن من العلم والأدب إماماً، وهو من أهل الشام، وكان أولاً معلم صبيةٍ يتنقل في البلدان، وعنه أخذ المترسلون، ولطريقته لزموا ولآثاره اقتفوا، توفي سنة ١٣٢هـ. ابن خلكان :وفيات الأعيان ،٣/ ٢٢٨؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ،٥٢/١٨؛ الزركلي: الأعلام، ٢٨٩/٣.

٢ - القلقشندي: صبح الأعشى، ٢٠٤/١٠.

أحوال الندماء
في العصر العباسي (١٣٢ـ ٣٣٤هـ)

شهد المجتمع العربي الإسلامي في العصر العباسي تحولاً واسعاً نحو الحياة الحضرية والعصرية أكثر من ذي قبل ، إذ كان العصر الأموي يمثل مرحلة انتقال من القديم إلى الجديد ، فبالإضافة إلى وجود العادات البدوية والشعر العربي تسربت إليهم بعض العادات الأجنبية ، فأخذوا ضروب الغناء والموسيقى من الفرس ، واقتبسوا بعض تقاليد البلاط الساساني كعادة الجلوس خلف ستارة في مجالس الغناء[١] ، وقد سار العباسيون على منوال الأمويين في اقتناء مظاهر الترف والتنعم بالسلطة واتخذوا القصور الفارهة والندماء وقربوهم إليهم حتى نجد بعضهم قد اعتلوا مناصب كبيرة في الدولة[٢].

وقد تحولت المنادمات والمجالسات إلى جزء من الحياة اليومية عند بعض أصحاب السلطان وخصوصاً في الدولة العباسية ، إذ أسهم التقدم الحضاري الذي شهدته في انتشار حياة البذخ والترف في القصور ، ولكن آثار المنادمات لم تقتصر على البلاط بل تعدته إلى الناس فسيطرت على سلوكياتهم ، وتركت

---

١ - الدوري: العصر العباسي الأول، ص٤٦.

٢ - ينظر: سارة عبد الحسين طه العيدان: نساء البيت العباسي وأثرهن في الحياة السياسية والإدارية، ص٤١ وما بعدها.

آثارها على عقليتهم وتفكيرهم ، بحيث نرى أن بعضهم لجأ إلى تسمية: "ولده مداماً وكناه أبا الندامي ، وسمى ابنته الرّاح وكناها أم الأفراح ، وسمى عبده الشراب وكناه أبا الإطراب ، وسمى وليدته القهوة وكناها أمّ النشوة"[1].

وهذه الرواية تدل بشكل لا يقبل الشك أنّ طبيعة الحياة السائدة في العصر العباسي عند الخليفة وأعوانه كان يملؤها اللهو والمجون والخمرة وحب النشوة ، ويفيد أحد الباحثين بقوله: وأصيب المجتمع العباسي بآفة الإسراف في شرب الخمر ، وأدى ذلك إلى تغنِ الشعراء في وصفها ووصف كؤوسها ومجالسها ، ودفع ذلك كله إلى انتشار موجة المجون والعبث والاستهتار[2].

ومنذ الأيام الأولى لقيام الدولة العباسية كان اهتمام الخلفاء واضحاً بالندماء من المغنين ، وتشجيعهم بالمنح والهدايا ، التي كانوا يجزلونها عليهم [3] ، وكان يحضر مجالسهم الشعراء والأدباء وأصحاب المواهب ، فقربوهم واتخذوا منهم ندماء ولعل خالد بن صفوان[4] كان في مقدمتهم ، فقد اتخذه الخليفة أبو العباس السفاح(١٣٢-١٣٦هـ) مشاوراً ونديماً ، ومن طرائف ماأشار به إليه هو ضرورة اهتمامه بالنساء والجواري والإكثار منهنّ فقال له: "يا أمير المؤمنين إني والله ما زلت منذ قلدك الله الخلافة ، أطلب أن أصير إلى مثل هذا الموقف في الخلوة ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بإمساك الباب ، حتى أفرغ فليفعل فأمر الحاجب بذلك ، فقال: يا أمير المؤمنين إني فكرت في أمرك ، وأجلت الفكر فيك ، فلم أر

---

١ - ابن حجة الحموي: ثمرات الأوراق ،٦٤/١ ؛ الهمذاني: الكشكول ،١٣٨/٢.

٢- ينظر جمال محمد سرحان: المسامرة والمنادمة عند العرب ،ص٦١.

٣ - مليحة رحمة الله: الحالة الاجتماعية في العراق، ص٨٦.

٤ - هو أبو صفوان خالد بن صفوان بن عمرو بن عبد الله بن الأهتم التميمي، أحد فصحاء العرب وخطبائهم، كان راوية للأخبار مفوهاً بليغاً، دخل على عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك، ثم لأبي العباس السفاح، كانت وفاته حوالي سنة ١٣٣هـ، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٩٤/١٦؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء ،٢٤/١١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ،٢٢٦/٦.

أحداً له قدرة واتساع على الاستمتاع بالنساء مثلك ، ولا أضيق فيهنّ عيشاً منك ، إنك ملّكت نفسك امرأة من نساء العالمين ، فاقتصرت عليها ، فإن مرضت مرضت ، وإن غابت غبت ، وإن عرّكت عرّكت ، وحرمت نفسك يا أمير المؤمنين التلذذ باستطراق الجواري ، ومعرفة اختلاف أحوالهنّ ، والتلذذ بما يُشتهى منهنّ ، فإن منهنّ الطويلة التي تشتهى لجسمها ، والبيضاء التي تحب لرؤيتها ، والسمراء اللعساء ، والصفراء الذهبية ، ومولدات المدينة ، والطائف واليمامة ، ذوات الألسن العذبة والجواب الحاضر ، وبنات سائر الملوك ، وما يشتهى من نضارتهنّ ونظافتهنّ ، وتخلل خالد بلسانه فأطنب في صفات ضروب الجواري وشوّقه إليهنّ ، فلما فرغ من كلامه قال له السفاح: ويحك ملأت مسامعي بما شغل خاطري ، والله ما سلك مسامعي كلام أحسن من هذا ، فأعد عليَّ كلامك فقد وقع مني موقعاً فأعاد إليه خالد كلامه بأحسن مما ابتدأه ، ثم قال له انصرف فانصرف"[1].

وعلى الرغم من أن الخليفة لم يأخذ بمشورته هذه ، إلا أنّ المتمعن في هذه الرواية يجد أنّ كلام هذا النديم وإن كان فيه من البلاغة وروعة الوصف الشيء الكثير إلاّ أنه كان بمثابة مزمار الشيطان ظل يعزف في آذان الخليفة ، فحيثما حلت تلك الجواري اللواتي شغلن الخلفاء بجمالهنّ ودلالهنّ وعذوبة أصواتهنّ حلّ اللهو والركون للدنيا فانسحب بآثاره السيئة على الخليفة نفسه من جهة ، وعلى مؤسسة الخلافة برمتها من جهة ثانية.

فالخليفة أبو العباس السفاح كان يظهر للندماء في مجلسه ثم احتجب عنهم بعد سنة ، وكان يظهر سروره وابتهاجه لمغنيه وندمائه ويصيح من وراء الستارة: أحسنت والله أعد هذا الصوت فيعاد مراراً ، فيقول في كلها أحسنت ، وكان لا

---

١ - النهرواني: الجليس الصالح ،ص ٤٠٦؛ ابن الجوزي: الأذكياء ،ص١١٦؛ الدميري: حياة الحيوان ،١٧٥/١؛ العاصمي: سمط النجوم ،٣٦٧/٣.

ينصرف عنه أحد من ندمائه ولا مطربيه إلّا بصلة من مال أو كسوة ، ويقول: "لا يكون سرورنا معجّلاً ، ومكافأة من سرّنا وأطربنا مؤجّلاً" ، وقد سبقه إلى هذا الفعل بهرام جور من ملوك الفرس[1] ، ولم يكن أبو العباس السفاح ميالاً إلى النساء ، وكان يحب مسامرة الرجال ، قال المسعودي: "ولم يكن أحد من الخلفاء يحب مسامرة الرجال مثل أبي العباس السفَّاح وكان كثيراً ما يقول: إنما العجب ممن يترك أن يزداد علماً ، ويختار أن يزداد جهلاً ، فقال له أبو بكر الهذلي[2]: ما تأويل هذا الكلام ياأمير المؤمنين ، قال: يترك مجالسة مثلك وأمثال أصحابك ، ويدخل إلى امرأة أو جارية ، فلا يزال يسمع سخفاً ، ويروي نقصاً ، فقال له الهذلي: لذلك فضلكم اللّه على العالمين ، وجعل منكم خاتم النبيين"[3].

وكان من أشهر ندماءه أبو بكر الهذلي ، فحضره ذات يوم والخليفة " مُقبل عليه يحادثه بحديث لأنوشروان في بعض حروبه بالمشرق مع بعض ملوك الأمم ، فعصفت الريح فأذْرَت تراباً وقطعاً من الآجر من أعلى السطح إلى المجلس ، فجزع من حضر المجلس لوقوع ذلك ، وارتاع له ، والهذلي شاخص نحو أبي العباس لم يتغير كما تغير غيره ، فقال له أبو العباس: للّه أنت ياأبا بكر ، لم أر كاليوم ، أما راعَكَ ما راعَنا ولا أحسست بما ورد علينا ، فقال: يا أمير المؤمنين ، ما جعل اللّه لرجل من قلبين في جَوِّفه ، وإنما جُعل للرجل قلب واحد ، فلما غمره السرور بفائدة أمير المؤمنين لم يكن فيه لحادث مجال ، واللّه عز وجل إذا أفرد بكرامته أحداً وأحب أن يبقى له ذكرها جعل تلك الكرامة على لسان نبي أو خليفة ، وهذه كرامة خُصِصّت بها فمال إليها ذهني ، وشغل بها فكري ، فلوا

---

١ - المسعودي: مروج الذهب ،١٦٤/٢؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ،٢٧٩/٣.

٢ - هو أبو بكر سلمة بن عبد الله الهذلي كان عالماً بأيام العرب وسيرها وأصحاب الحديث، توفي سنة ١٥٩هـ، الصفدي، الوافي بالوفيات، ٢٠٢/١٥.

٣ - المسعودي: مروج الذهب، ١٩١/٣.

انقلبت الخضراء على الغَبّراء ما أحسست بها ، ولا وجمتُ لها ، إلا بما يلزمني من نفسي لأمير المؤمنين أعزه اللّه تعالى ، فقال له السفاح: لئن بقيتُ لك لأرفعنَّ منك وضيعاً ، لا تُطيف به السباع ، ولا ينحطُّ عليه العقاب"[1].

ويعد السفاح أول الخلفاء العباسيين الذي نظم مجالس الندماء ، بأن جعل لهم أوقات معينة للمسامرة والمفاكهة فروي: عن سليمان بن عبد الله[2] قال: وفدت على أبي العباس ، فكان يدعوني في كل ليلة مقامي عنده ويعقب بين أصحابه وأهل الأقدار والأدب ومن يحضر بابه فيسامرونه ، فإذا كانت الليلة التي يحضره فيها سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة المخزومي وجدّته أم هانئ بنت أبي طالب ، وكان قد كبرت سنّه وشهد عامة سلطان بني أمية ، وكانت السن قد أرعشته ، فقال له: يا سعيد حدّث عن بني أمية فإنك لا تزال تحدث عنهم وعن جوهرهم ، فقال: يا أمير المؤمنين حضرت الجمعة ونحن مع الوليد بن يزيد فمضينا نريد الجمعة فإذا سرادق قد ضُمّت إليه سرادقات ومدت الحجر في جنبتيه ووضع المنبر وأخذ الناس يتطوعون وينتظرون الفريضة ، فلما زالت الشمس أذّن المؤذن فأذنه بالصلاة ، فإذا أصوات الملاهي والمعازف والمزامير مقبلة من مضربه نحونا ، فما راعنا إلاّ به على هذا الذي يسميه اللعابون الداربازي عليه غلالة وإزار مصبوغان بالزعفران لا يواريان عورته متشح بإزار وهو متخلق في فمه مزمار حتى أشرف علينا وهو يقول: طوط طوط ، وحكاه الشيخ برعشته ، فضحك أبو العباس حتى استلقى على فراشه وضرب مرافقه برجليه[3].

---

١ – المسعودي: مروج الذهب، ١٩٢/٣ ؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ،١٩٦/١.

٢ – هناك العديد من اسمه سليمان بن عبد الله من الرواة، ينظر: البخاري: التاريخ الكبير، ٢١/٤– ٢٤.

٣ – البيهقي: المحاسن والمساوئ، ص٢٠٣.

فأمّا أبو جعفر المنصور(١٣٦-١٥٨هـ) فلم يكن يظهر لنديم قط ، ولا رآه أحد يشرب غير الماء ، وكان بينه وبين الستارة عشرون ذراعاً ، وبين الستارة والندماء مثلها ، فإذا غناه المغني فأطربه ، حركت الستارة بعض الجواري ، فاطلع إليه الخادم صاحب الستارة فيقول: قل له: أحسنت ، بارك الله فيك ، وربما أراد أن يصفق بيديه ، فيقوم عن مجلسه ، ويدخل بعض حجر نسائه ، فيكون ذاك هناك ، وكان لا يثيب أحداً من ندمائه وغيرهم درهماً ، فيكون له رسماً في ديوان ، ولم يقطع أحداً ممن كان يضاف إلى ملهية أو ضحك أو هزل ، موضع قدم من الأرض ، وكان يحفظ كل ما أعطى واحداً منهم عشر سنين ، ويحسبه ، ويذكره له[١].

وكان يقول: "من صنع مثل ما صنع إليه ، فقد كافأ ، ومن أضعف ، كان مشكوراً ، ومن شكر ، كان كريماً ، ومن علم أن ما صنع ، فإلى نفسه صنع ، لم يستبطئ الناس في شكرهم ، ولم يستزدهم في مودتهم ، ولا تلتمس في غيرك شكر ما أتيته إلى نفسك ووقيت به عرضك ، وأعلم أن الطالب إليك الحاجة ، لم يكرم وجهه عن مسألتك ، فأكرم وجهك عن رده"[٢] ، وقيل للمنصور يوماً: "هل بقي من لذات الدنيا شيء لم تنله؟ قال: بقيت خصلة ، أن أقعد في مصطبة وحولي أصحاب الحديث ، يقول المستملي ، من ذكرت رحمك الله ، قال: فغدا عليه الندماء وأبناء الوزراء بالمحابر والدفاتر ، فقال: لستم بهم ، إنما هم الدّنسة ثيابهم ، المشققة أرجلهم ، الطويلة شعورهم ، بُرد الآفاق ، ونقلة الحديث"[٣].

---

١ - الجاحظ: التاج في أخلاق الملوك، ص٣٢ ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢٠٠.

٢ - المصدر نفسه، ص٣٢؛ الآبي: نثر الدر ،٥٨/٣.

٣ - السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص١٩٨.

وكان أبو دلامة[1] من الندماء الكبار الذي تقدم على غيره وحظي عند المنصور لأنه كان يضحكه وينشده الأشعار ويمدحه ، حضر يوماً جنازة امرأة المنصور- وكانت ابنة عمّه - يقال لها حمادة بنت عيسى[2] ، وكان المنصور قد حزن عليها ، فلما سووا عليها التراب ، قال له المنصور: ويحك يا أبا دلامة ، ما أعددت لهذا اليوم؟ فقال: ابنة عمّ أمير المؤمنين ، فضحك المنصور حتى استلقى ، ثم قال: ويحك فضحتنا بين الناس[3].

وكان المنصور يهوى مجالس السمر وكان نديمه وأنيسه عبد الملك بن حميد[4] وكان له منزلة خاصة عنده ، وكان عبد الملك ربما تثاقل عنه وتعلل عليه ، فاستثقل المنصور ذلك منه مع استصلاحه له ، وسكونه إليه ، وأمره باتخاذ من ينوب عنه إذا غاب عن حضرته فاتخذ مكانه نديماً في مجلسه أبو أيوب المورياني[5] ، وكان ظريفاً خفيفاً على القلب ، متأتياً لما يريده منه الخليفة أبو

---

١ - هو زند بن الجون، وقيل: زيد، وكان عبداً حبشياً فصيحاً ظريفاً من الكوفة سكن بغداد، انقطع إلى أبي العباس والمنصور والمهدي، وكانوا يقدمونه ويفضلونه ويستطيبون نوادره، توفي سنة ١٧١هـ. ابن قتيبة: المعارف، ص٣٥؛ أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ،٢٣٥/١٠؛ ابن الجوزي: المنتظم ،٢٥١/٨.

٢ - هي حمادة بنت عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ابن الساعي: نساء الحلفاء، ص٦٠- ٦١.

٣ - ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص٦١ ؛ اليافعي: مرآة الجنان ،٢٦٦/١؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ١٣٤/١٠.

٤ - عبد الملك بن حميد، مولى حاتم بن النعمان الباهلي، من أهل حران، كان كاتباً متقدماً، قلده المنصور كتابته ودواوينه، وكانت له عنده منزلة رفيعة، ولما بنى مدينة السلام قسمها أرباعاً، فجعل الربع منها إلى عبد الملك بن حميد الكاتب، ولعبد الملك قطيعة وربض يعرف به في الجانب الغربي، ولم يزل على حاله إلى أن لحقته علة من نقرس فلزم منزله. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ١٦/ ٢٠؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ،١٠٩/١٩.

٥ - هو أبو أيوب سليمان بن مخلد المورياني الخوزي، من وزراء الدولة العباسية في العراق. ولي=

جعفر إذ كان لا يصبر على غيابه أو عن مجالسته[١].

ويورد الجهشياري عن المورياني قائلاً: "وبلغ من خصيصاء أبي أيوب بأبي جعفر أن أمّ سليمان الطلحية[٢] –زوجته- اتخذت لأبي جعفر منزلاً في الصيف ، وجعلت فيه الرياحين والثلج وسائر الطيب ، فلما صار إليها أعجب ببرده وحسنه ، ثم قال لها: ما انتفع بما أنا فيه! قالت: ولم يا أمير المؤمنين؟ قال: إنه ليس معي أبو أيوب فيحدثني ويؤنسني قالت: إنما هيأته لسرورك فتبعث إليه ، فبعث إليه فحضر ، فقال له: ياأبا أيوب ، كما رأيت طيب هذا الموضوع ولذته ، لم أنتفع به حتى تكون معي ، فدعا له وأقام معه"[٣].

ونادم المنصور أيضاً ابن القطامي[٤] واتخذه مؤدباً لابنه المهدي وسميراً محدثاً في مجالسه[٥].

وعلى جميع الأحوال فأن الخليفة المنصور لم يجلس على مائدة شراب وحوله الندماء ، وإنما كان ينظر إليهم وهم يغنون أو يسامرهم في الضحك والمداعبة والمزاح الحسن.

=وزارة المنصور بعد خالد بن برمك (جد البرامكة) وأحسن القيام بالأعمال. ثم فسدت عليه نية المنصور، فأوقع به وعذبه وأخذ أمواله. وكان لبيباً فصيحاً، أصله من موريان إحدى قرى الأهواز، توفي سنة ١٥٤هـ.ابن خلكان: وفيات الأعيان ،٤١١/٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٤٨٤/٦؛ الزركلي: الأعلام، ٣/ ١٣٥.

١ – الجهشياري: الوزراء والكتاب ،ص٦٤؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ،١٠٩/١٩.

٢ – وهي فاطمة بنت محمد بن عيسى بن طلحة بن عبيد الله التيمي، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص٢١.

٣ – ينظر الوزراء والكتاب، ص٦٤.

٤ – هو أبو المثنى الوليد بن الحصين بن حبيب بن جمال الكلبي، الشاعر ويلقب بالشرقي، كوفي، كان عالماً بالنسب والأدب، توفي نحو ١٥٥هـ.ابن سعد: الطبقات الكبرى (متمم الصحابة)، ٢٠٥/٢ ؛ البخاري: التاريخ الكبير ،٢٥٥/٤؛ ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ،٣٧٦/٤.

٥ – ينظر: المسعودي: مروج الذهب ،٣٥١/٣.

وكان الخليفة المهدي(١٥٨-١٦٩هـ) في أول أمره يلتزم بنصائح مؤدبه ونديمه الشرقي بن القطامي ، إذ كان يملأ حياته ومجلسه بالمواعظ والحكم في بداية خلافته ومما يروى في ذلك: "أن المنصور كان قد ضم الشرقي بن القطامي إلى المهدي ، حين خلَّفه بالري ، وأمره أن يأخذه بحفظ أيام العرب ، ومكارم الأخلاق ، ودراسة الأخبار ، وقراءة الأشعار ، فقال له المهدي ذات ليلة: يا شرقي أ رح قلبي بشيء يُلهيه ، قال: نعم أصلح اللهّ الأمير ، وذكروا أنه كان في ملوك الحيرة ملك له نديمان قد نزلا من قلبه منزلة مكينة ، وكانا لا يُفارقانه في لهوه وأنسه ومنامه ويقظته ، ومُقامه وظعنه ، وكان لا يقطع أمراً دونهما ، ولا يصدر إلا عن رأيهما ، فغبر بذلك دهراً طويلاً ، فبينا هو ذات ليلة في شربه ولهوه إذ غلب عليه الشرابُ فأزال عقله ، فدعا بسيفه وأنتضاه ، وشدَّ عليهما فقتلهما ، وغلبته عيناه فنام ، فلما أصبح سأل عنهما ، فأخبر بما كان منه ، فأكبَّ على الأرض عاضاً لها تاسفاً عليهما وجزعاً لفراقهما ، وأمتنع من الطعام والشراب ، ثم حلف لا يشرب شراباً يزعج قلبه ما عاش ، وواراهما ، وبنى على قبريهما قُبة ، وسماهما الغريين ، وسن أن لا يمر بهما أحد من الملك فمن دونه إلاّ سجد لهما ، وكانا إذا سنَّ الملك منهم سُنَّة توارثوها ، واحيوا ذكرها ولم يميتوها ، وجعلوها عليهم حكماً واجباً ، وفرضاً لازماً ، وأوصى بها الآباء أعقابهم ، فغبر الناس بذلك دهراً طويلاً ، لا يمر بقبريهما أحد من صغير ولا كبير إلاّ سجد لهما.. وحكم فيمن أبى أن يسجد لهما بالقتل بعد أن يحكم له بخصلتين يجاب إليهما كائناً ما كانتا ، قال: فمرَّ يوماً قصّار معه كارة ثياب وفيها مُدقته[١] ، فقال الموكلون بالغريين للقصّار: أسجد فأبى أن يفعل ، فقالوا له: إنك مقتول إن لم تفعل ، فأبى ، فرفعوه إلى الملك وأخبروه بقصته ، فقال: ما منعك أن تسجد ،

---

١ - وهي آلة يدق القصّار عليها الثوب، وتسمى الكذينق. ابن منظور: لسان العرب ،٣٢٦/١٠؛ الزبيدي: تاج العروس، ٣٤٧/٢٦.

قال: سجدت ولكن كذبوا عليَّ ، قال: الباطل قلت ، فأحتكم في خصلتين فأنك مُجاب إليهما ، وإني قاتلك بعد ، قال: لا بد من قتلي بقول هؤلاء عليَّ ، قال: لا بد من ذلك قال: أحتكم أن أضرب رقبة الملك بُمدقتي هذه ، قال له الملك: ياجاهل ، لو حكمت على أن أجري على من تخلف وراءك ما يغنيهم كان أصلح لهم ، قال: ما أحكم إلاّ بضربةٍ لرقبة الملك ، فقال الملك لوزرائه: ما ترون فيما حكم به هذا الجاهل ، قالوا: نرى أن هذه سُنّة أنت سننتها وأنت أعلم بما في نقض السنن من العار والنار وعظم الإثم ، وأيضاً إنك متى نقضت سُنّة نقضت أخرى ، ثم يكون ذلك لمن بعدك كما كان لك ، فتبطل السنن قال: فارغبوا إلى القصّار أن يحكم بما شاء ويعفيني من هذه ، فإني أجيبه إلى ما شاء اللّٰه ولو بلغ حكمه شطر مُلكي ، فرغبوا إليه ، فقال: ما أحكم إلا بضربةٍ في عنق الملك ، قال: فلما رأى الملك ذلك وما عزم عليه القصار ، قعد له مقعداً عاماً وأحضر القصّار فأبدى مُدقته وضرب بها عنق الملك فأوهنه وخرَّ مغشياً عليه... وبلغت به العلة إلى أن كان يسقى الماء بالقطر ، فلما أفاق وتكلم وأكل وشرب واستقل سأل عن القصّار ، فقيل: أنه محبوس ، فأمر بإحضاره فحضر ، فقال: لقد بقيت لك خصلة فأحكم بها ، فأني قاتلك لا محالة إقامة للسُنّة قال القصار: فإذا كان لا بد من قتلي فإني أحكم أن أضرب الجانب الأخر من رقبة الملك مرة أخرى ، فلما سمع ذلك خرَّ على وجهه من الجزع ، وقال: ذهبت نفسي واللّه إذا ، ثم قال للقصّار: ويلك! دع عنك مالا ينفعك فأنه لم ينفعك منه ما مضى ، وأحكم بغيره وأنفذه لك كائناً ما كان ، قال: ما أرى حقي إلا في ضربةٍ أخرى... – فخشي الملك على نفسه - فقام الملك من مجلسه وقبّل رأسه ، وقال: أشهد أنك صادق ، وأنهم كذبوا عليك ، وقد وليتك موضعهم ، وجعلت إليك بأسهم ، وأمرهم في تأديبهم فضحك المهدي حتى فحص برجليه ،

وقال: أحسنت ، ووصله"[١].

وقد احتجب المهدي في أول خلافته عن الندماء عاماً كاملاً تشبهاً بأبيه المنصور ، ثم تغيرت أحوال المهدي وأخذ يسمع الغناء ويطرب ، ثم ظهر لندمائه وأجزل لهم العطايا والمنح[٢] ولما قال سلم الخاسر[٣]:

من راقب الناس مات همّاً   وفاز باللذةِ الجسور

فأشار عليه أبو عون بأن يحتجب عنهم ، فقال: "إليك عني ، ياجاهل! إنما اللّذة في مشاهدة السرورٍ وفي لدنو من سرني ، فأما من وراء وراء ، فما خيرها ولذتها؟ ولو لم يكن في الظهور للندماء والإخوان إلا أني أعطيهم من السرور بمشاهدتي مثل الذي يعطونني من فوائدهم ، لجعلت لهم في ذلك حظاً موفراً"[٤].

فكان الخليفة المهدي كما يقول الجاحظ: "كثير العطايا ، وافرها ، قلّ من حضره إلا أغناه ، وكان لين العريكة ، سهل الشريعة ، لذيذ المنادمة ، قصير المناومة ، ما يمل نديماً ولا يتركه إلا عن ضرورة ، قطيع الخنا ، صبوراً على الجلوس ، ضاحك السن ، قليل الأذى والبذاء"[٥]

ونادم المهدي أبو دلامة لما يمتلك من مواهب في الضحك وخفة الظل ورواية النكات وخلق جو من الرحبة والمرح والفرح ، ومما يروى عنه أنه دخل أبو دلامة على المهدي وعنده محمد بن الجهم وزيره ، وكان المهديّ يستثقله ، فقال لأبي

---

١ - المسعودي: مروج الذهب ،٣/٣٥١- ٣٥٢.

٢ - السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٢٠٥.

٣ - هو سلم بن عمرو بن حماد بن عطاء بن ياسر بن مولى عبد الله بن جدعان، شاعر خليع ماجن، من أهل البصرة، سمي الخاسر لأنه باع مصحفاً واشترى بثمنه طنبوراً، توفي سنة ١٨٦هـ. الجاحظ: الحيوان ،٧/٤٥٩؛ الوزير المغربي: أدب الخواص ،ص٦٦؛ الزركلي: الأعلام، ١١٠/٣.

٤ - الجاحظ: التاج في أخلاق الملوك ،ص٣٣.

٥ - التاج في أخلاق الملوك، ص ٣٣.

دلامة: واللّه لا تبرح مكانك حتى تهجو أحد الثلاثة! فهمّ أبو دلامة بهجاء ابن الجهم، فخاف شرّه، فرأى أن هجاء نفسه أقل ضرراً عليه، فقال[1]:

ألا أبلــغ لــديك أبــا دلامــة   فلــيس مــن الكــرام ولا كرامــة

إذا لــبس العمامــة كــان قــرداً   وخنزيــراً إذا وضــع العمامــة

وروي أنّ أبا دلامة دخل يوماً على المهدي يُهنئه بقدومه من سفره وأنشده:

إنــي حلفــت لــئن رأيتــك سالمــاً   وبقــرى العــراق وأنــت ذو وفــرِ

لَتُصــلينّ علــى الــنبي مُحمــدٍ   ولــتملأنّ دراهمــاً حِجــري

فقال المهدي: أما الأول فنعم، نصلي على النبي محمد (ﷺ)، وأما الثاني فلا، فقال: يا أمير المؤمنين هما كلمتان فلا تفرق بينهما، فأمر أن يملأ حجره دراهم، ثم قال له: قم، فقال: ينخرق منها قميصي فأفرغت منه في أكياسها ثم قام فحملها وذهب[2].

وعلى المجمل لقد كان المهدي يحب القيّان وسماع الغناء، وكان معجباً بجارية يقال لها(جوهر) وكان اشتراها من مروان الشامي، فدخل عليه ذات يوم مروان الشامي وجوهر تغنيه، فقال مروان:

أنــت يــا جــوهر عنــدي جــوهرة   في بيــاض الــدرة المشــتهرة

فــإذا غنــت فنــار ضــرّمت   قــدحت في كــل قلــب شــررة

فاتهمه المهدي، وأمر به فشدّ من عنقه إلى أن خرج، ثم قال: لجوهر: أطربيني فأنشأت تقول[3]:

وأنــت الــذي أخلفــتي مــا وعــدتني   وأشمــتَّ بــي مــن كــان فيــك يلــوم

---

١ – ابن عبد ربه: العقد الفريد، ١٤١/٨.

٢ – ابن كثير: البداية والنهاية، ١٤٣/١٠.

٣ – الجاحظ: البيان والتبيين ،٢٤٠/٣.

من ذلك نرى أن القصر العباسي كان يعج بالندماء أصحاب المواهب ، لذلك يمكن القول أنّ خلفاء بني العباس شجعوا تلك المواهب باحتوائهم ورعايتهم لإظهار مواهبهم وإبداعاتهم ، وشهد عهد الندماء بحضرة بني العباس تطوراً ملحوظاً من حيث الغناء ومجالسه ، حيث بات الخليفة لا يتحرج من الجلوس مع الندماء والمغنين ، يحدثهم ويحادثونه ، يضحك معهم ويضاحكونه ، فهم مستودع سره وسبب سعادته وسلوته وأقرب الناس إليه.

غير أن من المستغرب له أنّ الخلفاء العباسيين قد بالغوا بحبهم للندماء وقربوهم وفوضوا إليهم الكثير من الأمور ، فالخليفة المهدي قد وضع مقدرات الخلافة كلها في أيدي نديمته الحسناء جوهر تأمر فتطاع ، وتولي وتعزل ، وتهب وتمنع ، وكان يخاطبها بقوله:

ألا يا جوهر القلب ... لقد زدت على الجوهر
وقد أكملك الله ... بحسن الدّل والمنظر
إذا ما صلت، يا أحسن خلق الله، بالمزهر
وغنّيت ففاح البيت من ريحك بالعنبر
فلا والله ما المهدي ... أولى بك بالمنبر
فإن شئت ففي كفك ... خلع ابن أبي جعفر[1]

ومن الطرائف في عصره أنه كان ينادمه أحد المتكبرين – أي معجب بنفسه- ، وكان أعوراً بليغاً فصيحاً يدعى عمارة بن حمزة[2] ، فقد روي أنّ

---

١ - الجاحظ: البيان والتبيين ،٣٧١/٣.

٢ - هو عمارة بن حمزة بن مالك بن يزيد بن عبد الله بن يزيد بن عبد الله مولى العباس بن عبد المطلب، كان أحد الكتاب البلغاء، وكان أتيَّه الناس، وكان يضرب بتيهه المثل، فقيل: أتيَّه من عمارة، وكان سخياً جواداً، وإليه تنسب دار عمارة بغداد. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ، ٤ /٢١٦؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء ،٢٠٥٤/٥ ؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ،٢٩٣/٧.

عمارة بن حمزة دخل على المهدي يوماً فلما استقر به مجلسه قام رجل كان المهدي قد أعَّده ليتهكم بعمارة فقال: مظلوم يا أمير المؤمنين! قال: من ظلمك؟ قال: عمارة هذا غصبني ضيعتي وكانت من أحسن ضياع عمارة فقال المهدي: قم فاجلس مع خصمك؟ قال: يا أمير المؤمنين ما هو لي بخصم ، إن كانت الضيعة له فلست أنازعه فيها ، وإن كانت لي فقد وهبتها له ، ولا أقوم من مجلس شرفني به أمير المؤمنين ، فلما خرج الرجل وانفض المجلس سأل عمارة عن صفة الرجل وما كان لباسه وأين كان موضع جلوسه فلم يعلم ، وكان من تيهه أنه إذا أخطأ يمر في خطئه تكبراً عن الرجوع ويقول: نقض وإبرام في ساعة واحدة الموت أهون منه[1].

وكان بشار بن برد[2] يدخل على الخليفة المهدي ينادمه ويقرضه الشعر ومن نوادره مع المهدي ما روي: أنّ المهدي دخل يوماً إلى بعض حجر الحرم فنظر إلى جارية منهنّ تغتسل فلما رأته حصرت ووضعت يدها على فرجها فأنشأ يقول:

نظرتِ عيني لحَينِي... ثم أرتج عليه فقال: من بالباب من الشعراء؟ قالوا: بشار! فأذن له فدخل فقال له أجز: نظرتِ عيني لحيني... فقال بشار:

نظـــرت عـــيني لحَـــيْني نظــــراً وافـــق شينــــي

ســـــترت لمّـــــا رأتــــني دونـــــه بالراحتيـــــن

---

١ - الوطواط: غرر الخصائص، ص٩٠ ؛ النويري: نهاية الأرب ،٣٧٣/٣.

٢ - هو أبو معاذ بشار بن برد بن يرجوخ العقيلي كان شاعراً مجيداً مفلقاً ظريفاً محسناً، خدم الملوك وحضر مجالس الخلفاء، وأخذ فوائدهم، وكان يمدح المهدي ويحضر مجلسه، وكان يأنس به ويدنيه ويجزل له العطايا، وكان صاحب صوت حسن ومنادمة، وكان إذا حضر المهدي في مجلس مع جواريه بعث إليه لأجل المسامرة والمحادثة وكان بشار يعد من الخطباء البلغاء الفصحاء وله قصائد وأشعار كثيرة، فوشى به بعض من يبغضه إلى المهدي بأنه يدين بدين الزنادقة فقتله المهدي سنة ١٦٨هـ. ابن المعتز: طبقات الشعراء ،ص٢١؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ،٦١٠/٧؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ،٢٧١/١.

فضـــــلت منـــــه فُضـــــولٌ تحـــــت طـــــيِّ العُكنـــــتين

فقال له المهدي: قبحك الله ويحك أكنت ثالثنا ثم ماذا فقال:

فتمنّيـــــــــتُ وقلبـــــــــي للـــــــهوى في زفرتيـــــــــن

أنّـــــني كنـــــت عليـــــه ســـــــاعةً أو ساعتيـــــــن

فضحك المهدي وأمر له بجائزة فقال يا أمير المؤمنين أقنعت من هذه الصفة بساعة أو ساعتين فقال أخرج عني قبحك الله فخرج بالجائزة[1].

وكان من مظاهر الحياة العصرية في تلك الحقبة ما امتاز فيه المجتمع في العصر العباسي بانتشار ظاهرة الجواري ، وكثرة الغلمان وكان أغلبهم من الروم والفرس الذين كانوا على درجة من الثقافة ، وقد اهتم النخاسون بتعليمهم الأدب والشعر والغناء والموسيقى لبيعهم في الأسواق بأثمان باهضة[2].

أمّا الخليفة الهادي(١٦٩-١٧٠هـ) فقد بالغ بتقريب الندماء وكان يحب الغناء ويطرب له وقد قرب إليه من المغنين ابن جامع[3] الذي حذق فن الغناء ، وإبراهيم الموصلي[4] الذي ضرب في الغناء بسهم وافر[5] ، وذكر الطبري: "أنّ

١ - أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ،٢٢٨/٣؛ الثعالبي: خاص الخواص ،ص١٠٨.

٢ - مليحة رحمة الله: الحالة الاجتماعية في العراق، ص٨٤.

٣ - هو أبو القاسم إسماعيل بن جامع بن إسماعيل بن عبد الله بن المطلب بن وداعة المكي، كان قد قرأ القرآن وسمع الحديث، ثم ترك ذلك واشتغل بالغناء توفي سنة ٢٣٣هـ. الصفدي: الوافي بالوفيات ،٦١/٩؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ،١٣٩/٢.

٤ - هو أبو إسحاق إبراهيم بن ماهان بن بهمن، وكان كوفياً وسار الى الموصل فلما عاد قيل له الموصلي، ونظر في الأدب، وقال الشعر، وطلب عربي الغناء وعجميه، وسافر فيه إلى البلاد حتى برع في العلم به، واتصل بالخلفاء والملوك، وكان يعرف بالنديم، ولم يزل ببغداد إلى حين وفاته سنة ١٨٨هـ. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ،١١٦/٧؛ ابن الجوزي: المنتظم ،٧/١٩؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ ،٤٩٠/٥؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ،٤٢/١؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ١٢٨/٢.

٥ - ينظر: ابن طيفور: كتاب بغداد، ص١٧٠؛ ابن المعتز: طبقات الشعراء، ص٣٥٩؛ الخطيب=

الهادي كان يشتهي من الغناء الوسط الذي يقل ترجيعه ولا يبلغ أن يستخف به جداً"[١] ، وكان إذا أعجبه الغناء وطرب قال لمغنيه: أحسنت أحسنت! ويكثر له العطاء حتى يبلغ أحياناً ألف ألف درهم[٢].

ومن طرائف الخليفة الهادي مع المغنين والندماء أنه كان إذا سمع الغناء الجميل يطرب له حتى يشق ثوبه ، فقد روى إبراهيم الموصلي قال: دخلت يوماً على موسى الهادي وهو مصطبح – أي يشرب شراب الصباح- فقال: يا إبراهيم غنني ، فإن أطربتني فلك حكمك فغنيته:

وإنــي لتعرونــي لــذكراك فــترة   كما انتفض العصفور بلله القطـر

فضرب بيده إلى جنب دراعته فشقها حتى انتهى بها إلى صدره[٣].

ومن أشهر ندماءه عيسى بن دأب[٤]"وكان الهادي يدعو له مُتكأ ولم يكن غيره يطمع منه في ذلك ، وكان يقول له: يا عيسى ، ما استطلت بك يوماً ولا ليلة ، ولا غِبْتَ عني إلا ظننت إني لا أرى غيرك"[٥].

وقيل في سبب موت الهادي أنه: "دفع نديماً له من جُرف على أصول قصب قد قُطع ، فتعلق النديم به فوقع ، فدخلت قصبة في مخرجه ، فماتا جميعاً"[٦].

وكان الخليفة الرشيد(١٧٠-١٩٣هـ) يقدر الندماء والمغنين والموسيقيين ، كما

=البغدادي: تاريخ بغداد ،٢٢٦/٨.

١ – تاريخ الرسل والملوك ،٦١٦/٤.

٢ – الطبري: تاريخ الرسل والملوك ،٦١٦/٤؛ أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ،٤٥٧/٧.

٣ – أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ،١٠٨/٢٤.

٤ – هو أبو الوليد عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب الليثي البكري الكناني، من أهل المدينة، كان خطيبا، شاعرا، عالما بالأنساب، كانت له حظوة عند الخليفة الهادي، توفي سنة ١٧١هـ، ابن قتيبة: المعارف، ص٥٣٧- ٥٣٨ ؛ الزركلي: الأعلام، ١١١/٥.

٥ – المسعودي: مروج الذهب، ٢٣٦/٣.

٦ – السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٣٣١.

يقول ابن طباطبا العلوي: "حتى إنه لم يجتمع على باب خليفة من العلماء والشعراء والفقهاء والقراء والقضاة والكتاب والندماء والمغنين ما اجتمع على باب الرشيد ، وكان يصل كلّ واحد منهم أجزل صلة ، ويرفعه إلى أعلى درجة"[1].

وقد فاق هارون الرشيد الخلفاء العباسيين في ولوعه بالغناء والموسيقى وإجزاله العطاء للندماء من مغنين وموسيقيين.

وكان له جماعة من المغنين منهم: إبراهيم الموصلي ، وابن جامع السهمي وغيرهما[2] ، وكان له زامر يقال له: برصوما[3] ، وكان إبراهيم أشدهم تصرفاً في الغناء ، وابن جامع أحلاهم نغمة ، فقال الرشيد يوماً لبرصوما: ما تقول في ابن جامع؟ قال يا أمير المؤمنين ، وما أقول في العسل الذي من حيثما ذقته فهو طيب ، قال: فإبراهيم الموصلي؟ قال: بستان فيه جميع الأزهار والرياحين[4].

والرشيد كان أول من جعل للمغنين مراتب وطبقات على نحو ما وضعهم وذلك تبعاً لكفاءتهم ومقدرتهم الفنية[5] ، فكان إبراهيم الموصلي وابنه إسحق وابن جامع وزلزل[6] في الطبقة الأولى[7] ، والطبقة الثانية تشمل الموسيقيين وقد

---

١ - ينظر: الفخري في الآداب السلطانية، ص١٩٥.

٢ - شوقي ضيف: الفن وأهله ،ص ٥٨.

٣ - هو إسحاق برصوما الراسبي الزامر من سواد الكوفة وكان ماهراً في العزف شاملاً لجميع واعده وأصوله، وقد تتلمذ على أيدي أساتذة متخصصين في وقته، فصار سيداً في صنعته. أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ٥/٢٣٩.

٤ - الأبشيهي: المستطرف، ص٣٩٦.

٥ - مليحة رحمة الله: الحالة الاجتماعية في العراق، ص٨٦.

٦ - هو منصور بن زلزل، من أحسن وأحذق من برأ الله بالجس بالعود، وكان يجتمع مع إبراهيم الموصلي في منادمة الرشيد. الجاحظ: التاج في أخلاق الملوك ،ص٣٧؛ القفطي: أنباه الرواة ، ٢٩٠/٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ،٩ /١٥٤.

٧ - الجاحظ: التاج في أخلاق الملوك ، ص ٣٥؛ مليحة رحمة الله: الحالة الاجتماعية في العراق، ص٨٦- ٨٧.

يُعد كبار الموسيقيين في الطبقة الأولى[1].

ومن الطرائف ما روي أن إسحق برصوما العازف كان في الطبقة الثانية: "فطرب الرشيد يوماً لزمره ، فقال له صاحب الستارة: ياإسحق أزمر على غناء ابن جامع ، قال: لا أفعل ، قال: يقول لك أمير المؤمنين ، ولا تفعل؟ قال: إن كنت أزمر على الطبقة العالية ، رفعت إليها ، فأمّا أن أكون في الطبقة الثانية ، وأزمر على الأولى ، فلا أفعل ، فقال الرشيد لصاحب الستارة: ارفعه إلى الطبقة الأولى ، فإذا قمت فادفع البساط الذي في مجلسهم إليه ، فرفع إسحق إلى الطبقة الأولى ، وأخذ البساط ، وكان يساوي ألفي دينار ، فلما حمله إلى منزله ، استبشرت به أمّه وأخواته ، وكانت أمّه نبطية لكناء ، فخرج برصوما عن منزله لبعض حوائجه ، وجاء نساء جيرانه يهنئن أمّه بما خص به ، دون أصحابه ، ويدعون لها ، فأخذت سكيناً ، وجعلت تقطع لكل من دخل عليها قطعة من البساط ، حتى أتت على أكثره ، فجاء برصوما ، فإذا البساط قد تقسم بالسكاكين ، فقال: ويلك ما صنعت؟ قالت: لم أدر ، ظننت أنه كذا يقسم فحدث الرشيد بذلك ، فضحك ، ووهب له آخر"[2].

وكان الرشيد يجعل بينه وبين مغنّية ستارة إلى أن غنّاه مخارق[3] ، فرفع الستارة وقال له: يا غلام إلى هاهنا ، فأقعده معه على السرير وأعطاه ثلاثين ألف درهم ، وكان في مجلس الرشيد يوم ذاك ابن جامع المغنّى وغيره[4].

---

١ - مليحة رحمة الله: الحالة الاجتماعية في العراق ،ص٨٧.

٢ - الجاحظ: التاج في أخلاق الملوك ،ص٣٩.

٣ - هو أبو المهنا، مخارق بن يحيى بن ناووس، نشأ بالمدينة ثم قدم الكوفة، وكان إمام عصره في فن الغناء، اشتراه إبراهيم الموصلي بثلاثين ألف درهم ثم أهداه للفضل بن يحيى البرمكي، فسمعه الرشيد فجعله نديمه توفي سنة ٢٣١هـ. الطبري: تاريخ الرسل والملوك ،١٤٥/٩؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ،١٠٢/٦؛ أبو الفداء: المختصر ،٣٦/٢؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ، ٣٥٧/١٧.

٤ - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ،٢٦٠/٢.

وعلى الرغم من جلوس الخليفة الرشيد مع الندماء واستماعه للغناء وجلوسه للشراب إلا أن الجاحظ وهو قريب العهد به يقول مدافعاً عنه: "أتهم هارون الرشيد بأنه أسطورة في الفسق والضلال ، على أنه لم يُرَ قط يشرب إلاّ الماء ، ومن رآه يشرب فكذبه ، هذا لأنه لا يحضر شربه إلاّ خاص جواريه ، وربما طرب للغناء ، فتحرك حركة بين الحركتين في القلة والكثرة"[1] ، وهنا يوضح الجاحظ بأن الرشيد كان يتستر مع ندمائه ولم يُظهر ذلك للعامة.

وكان الرشيد يبذخ الأموال والعطايا على الندماء ، فقد روي أن دحمان الأشقر[2] غناه يوماً:

إذا نحن أدلجنا وأنت إمامنا	كفى لمطايانا برؤياك هاديا
ذكرتك بالديرين يوماً فأشرفت	بنات الهوى حتى بلغن التراقيا
إذا ما طواك الدّهر يا أمّ مالك	فشأن المنايا القاضيات وشانيا

قال: فطرب الرشيد طرباً شديداً واستعاده منه مرات ، ثم قال له: تمنّ عليّ ، قال: أتمنى الهنيء والمريء ، وهما ضيعتان غلتهما أربعون ألف دينار في كل سنة ، فأمر له بهما ، فقيل له ياأمير المؤمنين: إن هاتين الضيعتين من جلالتهما يجب أن لا يسمح بمثلهما ، فقال الرشيد: لا سبيل إلى استرداد ما أعطيت ، ولكن احتالوا في شرائهما منه ، فساوموه فيهما حتى وقفوا معه على مائة ألف دينار ، فرضي بذلك"[3].

وكان الرشيد يبالغ في شراء تلك الجواري اللواتي يمتلكن الجمال وعذوبة

---

١ - ينظر: التاج في أخلاق الملوك ،ص٣٥.

٢ - هو عبد الرحمن بن عمرو مولى بني ليث، كان بالمدينة وكان جيد الصوت والضرب من فحول المغنين، توفي في خلافة الرشيد. الصفدي: الوافي بالوفيات ،٢٠٤/٢٤؛ الزركلي: الأعلام، ٣٢٠/٣.

٣ - الأبشيهي: المستطرف ،ص٣٩٩.

الصوت والدلال ، فقد روي أنه اشترى الجارية ذات الخال[1] بسبعين ألف درهم ، ثم وهبها لوصيف القصر حمويه ، وكانت نديمته وكانت لها اليد الطولى في تولية الرجال وعزلهم ، فقد روي أن الرشيد اشتاقها يوماً فقال: "ويلك يا حمويه!

وهبنا لك الجارية على أن تسمع غناءها وحدك!

فقال: يا أمير المؤمنين ، مر فيها بأمرك ،

قال: نحن عندك غداً ، فمضى فاستعدّ لذلك واستعار لها من بعض الجوهريين بدنة وعقوداً ثمنها اثنا عشر ألف دينار ، فأخرجها إلى الرشيد وهي عليها ، فلما رآه أنكره وقال: ويلك يا حمويه! من أين لك هذا؟!

ما ولّيتك عملاً تكسب فيه مثله ولا وصل إليك منّي هذا القدر!

فصدقه عن أمره ، فبعث الرشيد إلى أصحاب الجوهر ، فأحضرهم واشترى الجوهر منهم ووهبه لها ، وحلف ألّا تسأله في يومه ذلك حاجة إلّا قضاها ، فسألته أن يولّى حمويه الحرب والخراج بفارس سبع سنين ، ففعل ذلك وكتب له عهده بذلك ، وشرط على وليّ العهد أن يتممها له إن لم تتمّ في حياته"[2].

وقد ازدهرت الثقافة والأدب في مختلف أرجاء الدولة في عهده ولاسيما فنون الشعر والموسيقى والغناء ، فقد اهتم الرشيد بهذا الجانب اهتماماً بالغاً حتى أنه كان له حس أدبي يتذوق الشعر الجيد وقد ينظمه أحياناً ، ولعل تقريبه كبار الشعراء ومنادمتهم خير شاهد على ذلك ، ومن طرائف ما يروى في هذا الباب حبّه لشعر الغزل واستماعه لرواده ومحاولة قرظه ونظمه وكان يستعين بأشهر الشعراء الذين اشتهروا في هذا الباب فقد روي: "أن هارون الرشيد قال في

---

١ - واسمها خشف وكانت لأبي الخطاب النخاس المعروف بقرين مولى العباسة بنت المهدي، وكانت ذات الخال من أجمل النساء وأكملهن، وكان لها خال فوق شفتها العليا وقيل على خدها، وقد تغنى بها الشعراء لحسنها المفرط. النويري: نهاية الأرب ،٩١/٥.

٢ - أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ١٦٩/١٦؛ النويري: نهاية الأرب ،٩٢/٥.

الليل بيتاً وأراد أن يشفعه بآخر فامتنع القول عليه ، فقال: عليَّ بالعباس بن الأحنف[1] ، فلما طُرق بابه ذعر وفزع أهله ، فلما وقف بين يدي الرشيد قال: وجهت إليك لبيت قلته ، ورمت أن أشفعه بمثله فامتنع القول عليَّ ، فقال: ياأمير المؤمنين ، دعني حتى ترجع إليّ نفسي ، فإنّي تركت عيالي على حال من القلق عظيمة ، ونالني من الخوف ما يتجاوز الحدَّ والوصف ، فانتظر هنيهة ، ثم أنشده:

جنانٌ قد رأيناها ولم نرَ مثلها بشرا

فقال العباس:

يزيدك وجهها حُسناً إذا ما زدته نظرا

فقال له الرشيد: زدني. فقال اَلعَبَّاس:

إذا ما الليل مال عليك بالظلماء واعتكرا

ودج فلم ترَ قمرا فأبرزها ترى القمرا

فقال له الرشيد: قد ذعرناك وأفزعنا عيالك ، وأقلّ الواجب أن نعطيك ديتك ، فأمر له بعشرة آلاف درهم ، وصرفه"[2].

من نافلة القول كانت مجالس الطرب والغناء ، تعقد في قصور الخلفاء ، ورجالات الدولة ، وانتشرت في العصر العباسي في عهد الرشيد والواثق والمتوكل والمعتز والمقتدر وكان يحضرها المغنون والمغنيات والندماء[3] ، وفي مثل هذه

---

١ - هو أبو الفضل العباس بن الأحنف بن الأسود بن طلحة الحنفي اليمامي ،شاعر مجيد رقيق الشعر من شعراء الدولة العباسية إلا أن كل شعره غزل لا مديح فيه ولا هجاء ولا شيئاً من سائر ضروب الشعر، توفي ببغداد سنة ١٩٢هـ. ابن المعتز: طبقات الشعراء ،ص٢٥٣؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ،٨/١٤؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء ،١٤٨١/٤؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ،٢٠/٣.

٢ - النهرواني: الجليس الصالح ص ١٧؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ،٨/١٤ ؛ ابن الجوزي: المنتظم ،٢٠٧/٩؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ،٢٢/٣.

٣ - مليحة رحمة الله: الحالة الاجتماعية في العراق ،ص٨٨- ٨٩.

المجالس ، يجتمع الندماء من المغنين ، والموسيقيين ، والشعراء ، في مجلس الخليفة عادة ، كما يجتمعون في مجلس رجالات الدولة ، فيغني المغنون ، وتضرب القيّان من خلف الستارة ، ويطرب الجميع[١].

والجدير بالذكر أن حياة الدعة والترف التي كان عليها الخلفاء العباسيون هي التي دفعت بهم إلى تقريب الندماء من الجواري والغلمان والجلوس إليهم ومعاقرتهم الشراب وسماعهم للطرب والغناء ، وكان الخلفاء لا يبخلون في دفع مبالغ باهضة ، في شراء الجواري والمغنيات ليكونوا ندماء لهم ، وقد يصل ما يدفع في بعضها إلى أربعة آلاف دينار[٢].

وفي رواية لإبراهيم الموصلي قال: فبينا أنا أغنّي الرشيد يوماً ، وبين يديه أكياس ، في كلّ كيس ألف دينار ، إذ قال: من أطربني فله كيس ، فغنيته الصوت ، فرمى لي بكيس ، ثم قال: أعد! فأعدت ، فرمى لي بكيس ، وقال: أعد! فأعدت ، فرمى لي بكيس ، فتبسمت ، فقال: ما يضحكك؟ قلت: يا أمير المؤمنين لهذا الصوت حديث أعجب منه ، وحدّثته الحديث ، فضحك ، ورمى إليّ الكيس الرابع ، وقال: لا نكذّب قول السوداء ، فرجعت بأربعة آلاف دينار[٣].

الجدير بالذكر أن بعض الجواري كنّ على درجة كبيرة من الثقافة الأدبية والفنية فضلاً عن الأنوثة والجمال وعذوبة الصوت ، لذلك حرص خلفاء بني العباس على اقتنائهنّ وشرائهنّ بأبهض الأثمان ، وكانوا يشعرون بالفخر والزهو لأنهم يجالسونهنّ ويخالطونهنّ ولعل الجارية عنان[٤] كانت شاهد على ما نقول ،

---

١ - مليحة رحمة الله: الحالة الاجتماعية في العراق ،ص٩٠.

٢ - ابن عبد ربه: العقد الفريد ،٢٢٥/١وطبائع النساء، ص٢١١.

٣ - التنوخي: نشوار المحاضرة، ٢٤٩/٦؛ السراج: مصارع العشاق ،٣٨/٢.

٤ - هي جارية الناطفي ، شاعرة مشهورة كانت جميلة الصورة، حسنة السيرة، ما رآها أحد إلا وأحبها وكانت تحسن الغناء، والألحان بحسن صوت يذهل الألباب، لها أخبار مع أبي نؤاس=

فقد روي أن: "الرشيد قد استعرض عنان جارية الناطفي ليشتريها ، وقال لها: أنا والله أحبّك! ثم أمسك عن شرائها ، فجلس ليلة مع سمّاره ، فغناه بعض من حضر من المغنين بأبيات جرير حيث يقول:

إنّ الذين غدوا بلبّك غادروا وشلا بعينك لا يزال معينا

قال: فطرب الرشيد لها طرباً شديداً ، وأعجب بالأبيات ، وقال لجلسائه: هل منكم أحد يجيز هذه الأبيات بمثلهنّ ، وله هذه البدرة؟ - أي كيس فيه مقدار من دنانير- قال:

فلم يصنعوا شيئاً ، فقال خادم على رأسه: أنا لك بها ياأمير المؤمنين! قال: شأنك ، فاحتمل البدرة ، ثم أتى الناطفيّ فقال له: استأذن لي على عنان ، فأذنت له ، فدخل وأخبرها الخبر ، فقالت: ويحك! وما الأبيات؟ فأنشدها إياها ، فقالت له أكتب:

هيّجت بالقول الذي قد قلته داء بقلبي ما يزال كمينا

قد أينعت ثمراته في طينها وسقين من ماء الهوى فروينا

كذب الذين تقوّلوا يا سيدي إنّ القلوب إذا هوين هوينا

فقالت له: دونك الأبيات ، فدفع إليها البدرة ورجع إلى هارون ، فقال: ويحك! من قالها؟ قال: عنان جارية الناطفي ، فقال: خلعت الخلافة من عنقي إن باتت إلاّ عندي! قال: فبعث إلى مولاها فاشتراها منه بثلاثين ألفا ، وباتت بقية تلك الليلة عنده"[1].

لقد كان الانحلال الخلقي يعم قصور الخلفاء العباسيين ، وإن ما تركته حياة

=وغيره من الشعراء، وأشعارها معروفة، توفيت بمصر سنة ٢٢٦هـ. ابن ماكولا: الإكمال،٢٨٢/٦؛ ابن الساعي، نساء الخلفاء، ص٦٤- ٧٠ ؛ النشابي: المذاكرة في ألقاب الشعراء ،ص٥٩ ؛ العمري: الروضة الفيحاء، ص١٠٧.

١ - ابن عبد ربه: العقد الفريد، ٧/ ٦٢.

الدعة والترف والبعد عن الله انسحبت على أبنائهم فتراهم ما بين سكر ورقص وغناء ، ومنادمة الجواري والشعراء والسفهاء ، وانعدم عندهم الحياء وشاعت فيهم الرذيلة والفحشاء ، ومن طرائف الخليفة الرشيد مع أبي نواس ، أنه كان يدخل على الرشيد فينادمه ويتناول الشراب معه ، ويبتهج لسماع أشعاره ونوادره وأسراره وفي ذات مرة كان الخليفة حاضراً وإلى جانبه إحدى جواريه المدللات... وبينما أبو نواس في انسجام بما يجري حوله ، أشار الخليفة إلى جاريته أن تأخذ كأس مدامه وتضعه في حجرها ففعلت! فما كان من أبي نواس إلاّ أن ارتبك وحار ما يفعل!! فلا هو قادر على استرجاع الكأس من مكانه خشية غضب الخليفة ، وقد أصبح بلا كأس!! فرأى الخليفة حيرته فقال له: ما بك يا أبا نواس ، ما قصتك؟

فقال له: يا مولاي!

قصتي أعظم قصة	صارت الظبية لصة
سرقت كأس مدامي	وامتصاصي منه مصة
خبأته في مكان	في فؤادي منه غصة
لا أسميه وقاراً	للخليفة فيه حصة [١]

فضحك الجميع حتى انقلبوا على قفاهم فرحاً وسروراً[٢].

إن هذه الرواية في تقديرنا ليست صحيحة وإنما من القصص والخيال الذي حاول من خلاله الكتاب أن يظهروا هارون الرشيد بالمظهر السلبي البعيد عن الإسلام والحياء ، وخاصة بعد نكبة البرامكة ، وهذا غير منطقي ، فهو المعروف

---

١ - لم نعثر على هذه الأبيات في ديوان أبي نواس ولعلها قيلت ونسبت إليه في محاولة لإظهار الخليفة الرشيد بمظهر الخليع الماجن، ويبدو أنها وضعت بعد الإطاحة بالبرامكة.

٢ - ينظر الموقع الالكتروني: www.mmlkty.com

عنه بأنه الخليفة الحازم المجاهد الذي يغزو عاماً ويحج عاماً ، وإن كانت هناك في حياته بعض الزلات والهنات إلاّ أنها لا تصل إلى هذا الحد من السفاهة والفجور والاستهتار.

ولعل هذه الرواية خير شاهد قال الأصمعي: صنع الرشيد طعاماً وزخرّف مجالسه وأحضر أبا العتاهية[1] وقال له: صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا. الدنيا. فقال أبو العتاهية:

عش ما بدا لك سالماً ... في ظل شاهقة القصور

فقال الرشيد: أحسنت ثم ماذا. فقال:

يسعى عليك بما اشتهيت ... لدى الرواح أو البكور

فقال: حسنٌ ثم ماذا. فقال:

فإذا النفوس تقعقعت ... في ظل حشرجة الصدور

فهناك تعلم موقناً ... ما كنت إلا في غرور

فبكى الرشيد. فقال الفضل بن يحيى: بعث إليك أمير المؤمنين لتسره فحزّنته. فقال الرشيد ، دعه فإنه رآنا في عمى فكره أن يزيدنا منه[2].

وفي رواية أخرى أن الرشيد قال لأبي العتاهية: عظني بأبيات شعر وأوجز؟

---

١ - هو أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان، مولى لعنزة، وكان شاعراً كبيراً ملماً بكل فنون الشعر، وكان يحب المجون والخلاعة فكني بها لعتوه، وكان ثنوياً متذبذباً بشعره، تارة تراه زنديقاً فاسفاً، وتارة أخرى تراه زاهداً ورعاً، توفي سنة ٢١١هـ. ابن المعتز: طبقات الشعراء ،ص٢٢٧؛ الربعي: تاريخ مولد العلماء ،٤٧٢/٢؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ، ٢٢٦/٧.

٢ - ابن طباطبا: الفخري ،ص١٩٢؛ ابن الأثير: الكامل ،٣٩٥/٥ ؛ ابن كثير: البداية والنهاية ، ٢٣٦/١٠؛ اليوسي: المحاضرات في اللغة والأدب ،ص١٣٣؛ شيخو: مجاني الأدب، ٣٥/٢.

فأنشدته:

لا تـأمن المـوت في طـرف ولا نفـس ... ولـو تمنعـت بالحجـاب والحـرس

واعلـم بـأن سـهام المـوت قاصـدة ... لكـل مـدرع منـا ومتـرس

ترجـو النجـاة ولم تسـلك مسـالكها ... إن السـفينة لا تجـري علـى اليـبس

قال: فخرَّ مغشياً عليه[1].

ولا شك أن تملق الندماء للخلفاء جعلهم يظهرون لهم صورة من النفاق في أقوالهم وأفعالهم ، وكان يعجبهم منهم المديح الزائف ، والثناء الكاذب ، فأحيوهم في حياة نرجسية ملؤها الخيال والجمال والخلود ، فأنسوهم الآخرة والوقوف بين يدي الله عز وجل للحساب والعذاب المشهود ، على كل ما جنته أيديهم وما فرطوا في حق خالقهم وأنفسهم ، فضلاً عن ما تحملوا من أعباء الحكم وواجبات الرعية التي هي أمانة في أعناقهم ، فأهملوها وفرطوا فيها ، حتى بات أكثرهم ينفق أموال الدولة على السفاهة والتفاهة والخلاعة والمجون دون وازع من ضمير.

وعلى الرغم مما ساد البلاط العباسي من مظاهر التفسخ والانحلال الأخلاقي الذي خلفه الندماء وأثرهم الخطير على حياة الخلفاء ومستقبلهم السياسي ، إلاّ أن ذلك البلاط كان لا يخلو من الوعاظ والفقهاء الذين يدعوهم الخليفة بين الفينة والأخرى ليستفتيهم ويستمع إليهم ويتعلم منهم ، ولنا في هذه الرواية خير شاهد.

إذ كان شعار العباسيين السواد ، وكان الرشيد يكثر من لبسه له: "وسأل الرشيد الأوزاعي[2] عن لبس السواد ، فقال: لا أحرّمه ، ولكنى أكرهه. قال: ولم؟

---

١ - ابن حبان: روضة العقلاء ،ص٢٨٥ ؛ الماوردي: أدب الدنيا والدين ،ص١١٩ ؛ ابن الجوزي: بستان الواعظين ،ص١٦٥ ؛ ابن كثير: البداية والنهاية ،١٠/٢٣٦.

٢ - هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي، إمام أهل الشام، الفقيه الزاهد، وكان رأساً في العلم والعمل، روى عن خلق كثير من التابعين وكان بارعاً في الكتابة والترسل، توفي=

قال: لأنه لا تجلى فيه عروس ، ولا يلبّي فيه محرم ، ولا يكفّن فيه ميت. فالتفت الرشيد إلى أبي يوسف[1] وقال: ما تقول أنت في السواد؟ قال: يا أمير المؤمنين ، النور في السواد. فاستحسن الرشيد ذلك. ثم قال: وفضيلة أخرى يا أمير المؤمنين ، قال: وما هي؟ قال: لم يكتب كتاب الله إلا به ؛ فاهتزّ الرشيد لذلك[2].

نستشف من ذلك أن وعاظ السلاطين ، تقربوا إلى الخلفاء وجالسوهم ونادموهم من أجل الدنيا وملذاتها ، وأكثرهم كان يفتي بالآراء والأقوال التي توافق هوى السلطان ، ومن غير الممكن أن يفتي عكس ذلك لأنه سوف يعرض نفسه للخطر أو الموت ، لذلك قلّ منهم من كان يسدي النصيحة وينه الحاكم عن غيِّه وغروره ولا تأخذه في دين الله لومة لائم. لذلك عبث الندماء بأمور المملكة حتى آلت إلى الخراب وهي في عز شبابها. وفي ذلك ذمهم الشاعر فقال[3]:

وإن من الخدام من ليس يرتجى مكارمه فالبعد منهم غنائمُ

فلا تك ممن يتهمهم لحشمةٍ فليس لهم بين الرجال محاشمُ

وكان الخليفة محمد الأمين(١٩٣-١٩٨هـ) يكثر منادمة الجواري والشعراء ،

=سنة ١٥٧هـ. أبو الفداء: المختصر ،٣٠٤/١؛ الذهبي: العبر ،١١٨/١؛ اليافعي: مرآة الجنان، ٢٥٩/١.

١ - هو أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبته الكوفي قاضي القضاة، وهو أول من دعي بذلك، تفقه على يد الإمام أبي حنيفة النعمان، وسمع من عطاء بن السائب وطبقته، له كتاب الخراج، توفي سنة ١٨٢هـ، وقد مشى الرشيد في جنازته. ينظر اليافعي: مرآة الجنان،٢٩٨/١؛ ابن كثير: البداية والنهاية ،١٦٦/١٠؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب،٢٩٨/١.

٢ - النويري: نهاية الأرب ،١١/٤؛ الأماسي: روض الأخيار ،ص٣٢٠ ؛ السفاريني:غذاء الألباب ، ١٧٢/٢.

٣ - الغزولي: مطالع البدور ،ص١٤.

فروي أنه كان "يطوف في قصره إذ مرَّ بجارية له سكرى وعليها كساء خز تسحب أذياله ، فراودها عن نفسها فقالت: أنا على ما ترى ، ولكن إذا كان في غد إن شاء الله! فلما كان من الغد مضى إليها فقال لها: الوعد! فقالت: ياأمير المؤمنين ، أما علمت أن كلام الليل يمحوه النهار؟ فضحك وخرج إلى مجلسه ، وصادف أن قدم على بابه الشعراء ، فقال: من بالباب من الشعراء؟ فقيل له: الرقاشي[1] ومصعب[2] وأبي نؤاس[3] فأمر بهم فأدخلوا ، فلما جلسوا بين يديه قال: ليقل كل منكم شعراً يكون آخره: كلام الليل يمحوه النهار ، فمن أصاب ما في نفسي فله حكمه! فارتجل الرقاشي:

متى تصحو وقلبك مستطار ... وقد منع القرار فلا قرار
وقد تركتك صباً مستهاماً ... فتاة لا تزور ولا تزار
إذا استنجزت منها الوعد قالت ... كلام الليل يمحوه النهار

وقال مصعب:

أتعذلني وقلبي مستطار ... كئيب ما يقر له قرار!
بحب مليحةٍ صادت فؤادي ... بألحاظ يخالطها احورار

---

١ - هو أبو العباس الفضل بن عبد الصمد بن الفضل الرقاشي الشاعر من أهل البصرة. قدم بغداد، ومدح هارون الرشيد، ومحمد الأمين، والبرامكة، وكان هو وأبو نواس يتهاجيان، وما أمسك واحد منهما عَنْ صاحبه، حتى فرق الموت بينهما. ابن المعتز: طبقات الشعراء ،ص٢٢٦؛ المرزباني: معجم الشعراء ،ص٣١١؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ،٣٠٥/١٤.

٢ - هو مصعب الموسوس، ولم نقف له على ترجمة أو أخبار. ابن المعتز: طبقات الشعراء ،ص٣٩٥.

٣ - هو أبو علي الحسن بن هانئ المعروف بأبي نواس الشاعر، ولد بالأهواز، ونشأ بالبصرة وقيل: كان مولى للجراح بن عبد الله الحكمي والي خراسان. واختلف إلى أبي زيد الأنصاري وكتب عنه الغريب، وحفظ عن أبي عبيدة معمر بن المثنى أيام العرب، ونظر في نحو سيبويه.توفي سنة ١٩٨هـ. ابن المعتز: طبقات الشعراء ،ص١٩٤؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق ،٤٠٨/١٣؛ الأنباري: نزهة الألباء ،ص٦٥؛ الزركلي: الأعلام ،٢٢٥/٢.

ولمــا أن مــددت يــدي إليهــا — لألمســـها بـــدا منهـــا نفـــار

فقلت لها عديني منك وعداً — فقالــت في غــدٍ منــك المــزار

فلمــا جئــت مقتضـياً أجابــت — كـلام الليـل يمحـوه النهــار

وقال أبو نواس:

وليلـــة أقبلـــت في القصـــر ســـكرى — ولكـــن زيـــن الســـكر الوقـــار

وهـــز الـــريح أردافـــاً ثقـــالاً — وغصـــناً فيـــه رُمـــان صـــغار

وقــد ســقط الــردا عــن منكبيــها — مـــن التخمـــيش وانحـــل الإزار

فقلــت: الوعــد سيدتــي! فقالــت: — كـــلام الليـــل يمحـــوه النـــهار

فقال: أخزاك الله! أكنت معنا مطلعاً علينا؟ فقال: يا أمير المؤمنين ، عرفت ما في نفسك فعبرت عما في ضميرك ، فأمر له بأربعة آلاف دينار ، ولصاحبيه بمثليهما"[1].

ومن طرائف الخليفة محمد الأمين مع نديمه إبراهيم الموصلي أنه غنى له يوماً فقال:

رشـــأ لـــولا ملاحتـــه — خلـــت الـــدّنيا مـــن الفـــتنِ

كـــلّ يـــوم يســـترقّ لـــه — حســـنه عبـــداً بـــلا ثمـــنِ

يـــا أمـــين الله عـــش أبـــداً — دُم علـــى الأيـــامِ والـــزمنِ

أنـــت تبقـــى والفنـــاءُ لنـــا — فـــإذا أفنيتـــنا فكُـــنِ

ســنّ للنـــاس القِـــرى فقـــروا — فكـــأنّ البُخـــل لم يكـــنِ

---

١ - ابن عبد ربه: العقد الفريد، ١١٥/٨ ؛ ابن رشيق: بدائع البداءة، ص١٣٤؛ الغرناطي: حدائق الأزهر، ص١١٤.

فاستخفه الطرب حتى قام من مجلسه وأكبّ على إبراهيم يقبّل رأسه، فقام إبراهيم من مجلسه يقبل أسفل رجليه وما وطئتنا من البساط، فأمر له بثلاثة آلاف درهم فقال إبراهيم: يا سيدي، قد أجزتني إلى هذه الغاية بعشرين ألف ألف درهم! فقال الأمين: وهل ذلك إلاّ خراج بعض الكور[١].

ومن حبّه لندمائه كان يسترضيهم بالأموال والهدايا والعطايا، حتى أنه لا يصبر على فراقهم، ويتجاوز عن مسيئهم، ولا يستقر له جفن ولا يهدأ له بال إلاّ بقربهم ومؤانستهم، ولعل ما حدث بين الأمين ونديمه إبراهيم بن المهدي[٢] خير دليل على ذلك، فعن إسحق بن إبراهيم الموصلي قال: دار كلام بين الأمين، وبين إبراهيم بن المهدي، قال: فوجد عليه الأمين، فهجره، فوجه إليه إبراهيم بوصيفة مغنية مع عبد هندي، فأبى الأمين أن يقبلهما، فكتب إليه:

هتكت الضمير برد اللطف ... وكشفت هجرك لي فانكشف

فإن كنت تحقد شيئاً مضى ... فهب للخلافة ما قد سلف

وجد لي بعفوك عن زلتي ... فبالفضل تأخذ أهل الشّرف

---

١ - ابن عبد ربه: العقد الفريد، ٧/ ٥٠؛ المرزباني: الموشح في مآخذ العلماء، ص٣٣٣؛ النويري: نهاية الأرب، ٤/ ٢١١.

٢ - هو أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي بن المنصور أبي جعفر بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي، أخو هارون الرشيد، كانت له اليد الطولى في الغناء والضرب بالملاهي وحسن المنادمة، وكان أسود اللون لأن أمّه كانت جارية سوداء، واسمها شكلة، وكان مع سواده عظيم الجثة، ولهذا قيل له التنين، وكان وافر الفضل، غزير الأدب، واسع النفس، سخي الكف، ولم ير في أولاد الخلفاء قبله أفصح منه لساناً، ولا أحسن منه شعراً، بويع له بالخلافة ببغداد بعد المائتين والمأمون يومئذ بخراسان، وأقام خليفة بها مقدار سنتين، توفي سنة ٢٢٤هـ. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٧/ ١٥٥؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ١/ ٣٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٨/ ٥٣٩؛ الزركلي: الأعلام، ١/ ٥٩.

فرضي عنه ، ودعاه للمنادمة[1].

ومن نوادر منادمات إسحاق الموصلي مع الخليفة الأمين أنه رغم غضبه وسخطه عليه كان يقبل أعذاره ويداري عن قصوره ، ويرضيه بالحفاوة والتكريم قيل: اصطبح محمد الأمين ذات يوم وأمر بالتوجيه إلى إسحاق فوُجه إليه عدة رسل كلهم لا يصادفه حتى جاء أحدهم به فدخل منشياً ومحمد مُغضب فقال له: أين كنت ويلك؟ قال: أصبحت يا أمير المؤمنين نشيطاً فركبت إلى بعض المنتزهات فاستطبت الموضع وأقمت فيه ، وسقاني زياد- غلامه- فذكرت أبياتاً للأخطل وهو يسقيني فدار لي فيها لحن حسن فصنعته فيها وقد جئتك به فتبسم ثم قال هات فما تزال تأتي بما يرضي عنك عند السخط فغناه:

إذا ما زيادٌ علّني ثم علّني ... ثلاثَ زجاجات لهنّ هديرُ

خرجْت أجُرُّ الذيل زهواً كأنني ... عليك أميرَ المؤمنين أميرُ

قال بل على أبيك قبح الله فعلك فما يزال إحسانك في غنائك يمحو إساءتك في فعلك وأمر له بألف دينار[2].

وفي عهد الأمين بلغ الغلمان مرتبة كبيرة بعد مرتبة الخليفة حتى نرى والبة بن الحباب كان يقول: "الغلام هو الرفيق في السفر ، والصديق في الحضر ، والمعين على الشغل ، والنديم عند الشرب ، وهو مفتاح الأنس"[3].

وكان الخليفة المأمون(١٩٨-٢١٨هـ) يعقد مجالس السمر ويحضرها الندماء والشعراء والعلماء والأدباء ، إلاّ أن المؤاخذ عليه إنه كثر في عهده وعهد أخيه الأمين من قبله تقريب الغلمان ، فقد روي أنه كان شغوفاً بالغلام(سيما التركي) الذي كان جماله قد طغى على جمال جواريه فأخذ عقله وسلبه لبه ومما يروى:

---

١ - **الجاحظ: المحاسن والأضداد، ص٣٢٥.**

٢ - **أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ،٣٣٧/٢٠.**

٣ - **الثعالبي: اللطائف والظرائف ،ص١٨٣.**

دعا المعتصم أخاه المأمون ذات يوم إلى داره ، فأتاه فأجلسه في بيت على سقفه جامات ، فوقع ضوء الشمس من وراء تلك الجامات على وجه سيما التركي غلام المعتصم ، وكان أحسن تركي على وجه الأرض ، وكان المعتصم أوجد خلق الله به ، فصاح المأمون لأحمد بن محمد اليزيدي ، فقال: انظر ويلك إلى ضوء الشمس على وجه سيما ، أرأيت أحسن من هذا قط! وقد قلت:

قد طلعت شمس على شمسِ فزالت الوحشة بالأنسِ

فأجز يا أحمد ، فقال أحمد:

قد كنت أشنا الشمس من قبل ذا فصرت أرتاح إلى الشمسِ

قال: ففطن المعتصم ، فعض شفته لأحمد ، فقال أحمد للمأمون: والله يا أمير المؤمنين ، إن لم يعلم الأمير حقيقة الأمر منك لأقعن معه فيما أكره ، فدعاه المأمون فأخبره الخبر ، فضحك المعتصم ، فقال له المأمون: أكثر يا أخي في غلمانك مثله ، إنما استحسنت شيئاً فجرى ما سمعت لا غير(1).

وكان المأمون ولعاً بجارية اسمها عُريب(2) ، يعشقها ويجعل بعض وقته لها ، ينادمها ويسامرها وهي تغني وترقص بين يديه ، يغدق عليها الأموال ، لا يقر معها حال ، وما تأمر ينفذ في الحال ، وهو عبد بين يديها ، حتى قال بعض الشعراء يذم فعله ولهوه(3):

---

١ - أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ،٢٠/ ٢٨٧ ؛ الخزرجي: بدائع البدائة، ص ٥٠..

٢ - كانت عريب مغنّية محسنة، وشاعرة صالحة الشعر، وكانت مليحة الخطّ والمذهب في الكلام، ونهاية في الحسن والجمال والظّرف وحسن الصوت وجودة الضّرب وإتقان الصّنعة والمعرفة بالنّغم والأوتار والرواية للشعر، وكان المأمون يتعشقها وهي عند مولاها، توفيت سنة ٢٧٧هـ. الجاحظ: المحاسن والأضداد ،ص١٨١ ؛ أبو الفرج الأصفهاني: الإماء الشواعر ،ص١٣٦ ؛ التنوخي: نشوار المحاضرة ،١/ ٣٨٠ ؛ الأفطسي: المجموع اللفيف ،ص١٥٤ ؛ النويري: نهاية الأرب، ٥ / ٩٥.

٣ - أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ،١٥/ ٦٠.

إذا ذكرنا صلاة بعد ما فرطت قمنا إليها بلا عقلٍ ولا دينِ

نمشي إليها بطاءً لا حراك بنا كأنَّ أرجلنا تُقلعنَ من طينِ

وروي أنه أرق ذات ليلة فاستدعى سميراً يحدثه فقال: يا أمير المؤمنين كان بالموصل بومة وبالبصرة بومة فخطبت بومة الموصل بنت بومة البصرة لابنها ، فقالت بومة البصرة لا أجيب خطبة ابنك حتى تجعلي في صداق ابنتي مائة ضيعة خربة ، فقالت بومة الموصل لا أقدر عليها لكن إن دام وإلينا سلمه الله علينا سنة واحدة فعلت ذلك ، قال: فاستيقظ لها المأمون وجلس للمظالم وأنصف الناس بعضهم من بعض وتفقد أمور الولاة والعمال والرعية[1].

كما أن حبّ المأمون للعلم والعلماء جعله يتخذ العديد منهم ندماء له ، ومن هم أبو جعفر العدوي النحوي[2] ، الذي صحب المأمون في أحدى غزواته ، ويروي عن نفسه أنه قال "قال: دخلت يوماً على المأمون بقارا [3]وهو يريد الغزو فأنشدته شعراً مدحته فيه أوله:

يا قصر ذا النخلات من بارا إني حننت إليك من قارا

أبصرت أشجاراً على نهر فذكرت أنهاراً وأشجارا

---

١ - الراغب الأصفهاني: محاضرات الأدباء ،١٠١/١ ؛الدميري: حياة الحيوان ،١٤٧/١؛القلقشندي: صبح الأعشى ،٩٤/٢؛ الأبشيهي: المستطرف، ص١٢٠.

٢ - هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن يحيى العدوي النحوي، وسمع جده أبا محمد يحيي بن المبارك وأبا زيد سعيد بن أوس الأنصاري، وكان مقرئا روى عنه أخواه عبيد الله والفضل ابنا محمد وابن أخيه محمد بن العباس بن محمد اليزيدي ومحمد بن عبد الملك الزيات، وغيرهم، وكان أيضا أديبا عالما بالنحو شاعرا مدح المأمون والمعتصم وغيرهما، قبل سنة ٢٦٠هـ، ينظر: ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٤٦٤/٥– ٤٦٥.

٣ - وردت عند ياقوت بالتاء المربوطة، قال: قارة قرية كبيرة بين دمشق وحمص آخر حدود حمص أهلها نصارى. معجم البلدان، ٢٩٥/٤.

لله أيـــام نعمــــت بهـــــا ... بـــالقفص أحيانـــا وفي بـــارا

إذْ لا أزال ازور غانيــــــــة ... ألهـــو بهـــا وازور خمـــارا

لا أسـتجيب لمـن دعـا لهـدى ... وأجيـــب شـــطاراً ودعـــارا

أعصـي النصـيح وكـل عاذلـة ... وأطيـــع أوتـــاراً ومزمـــارا

فغضب المأمون وقال أنا في وجه عدو وأحض الناس على الغزو وأنت تذكرهم نزهة بغداد فقلت الشيء بتمامه ثم قلت:

فصـحوت بالمـأمون مـن سـكري ... ورأيـت خـير الأمـر مـا اختـار

ورأيـــت طاعتــــه مؤديـــــة ... للفـــرض إعلانـــاً وإســــرارا

فخلعـت ثـوب الهـزل مـن عنقـي ... ورضـــيت دار الخلـــد لـــي دارا

وضـــللت معتصـــما بطاعتـــه ... وجـــواره وكفـــى بـــه جـــارا

إن حـلّ أرضـاً فهـي لـي وطـن ... وأسـير عنهـا حيـث مـا سـارا

فقال له يحيي بن أكثم: ما أحسن ما قال يا أمير المؤمنين أخبر أنه كان في سكر وخسار فترك ذلك وارعوى وآثر طاعة خليفته وعلم أن الرشد فيها فسكن وأمسك"[(١)].

ومن ندماء المأمون أيضاً علي بن عبيدة الريحاني[(٢)] الذي كان يقول: "لولا لهب من الحرص ينشأ في القلوب ، ولا يملك الاعتبار إطفاء توقده ، ما كان فِي

---

١ - ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٤٦٤/٥- ٤٦٥ ؛ ياقوت: معجم الأدباء، ٤٣٤/١ – ٤٣٥ ؛ القفطي: أنباه الرواة، ١٦١/١.

٢ - هو أبو الحسن علي بْن عبيدة الكاتب المعروف بالريحاني، كان أحد البلغاء الفصحاء، وافر الأدب، كثير الفضل، مليح اللفظ، حسن العبارة، وله كتب حسان فِي الحكم والأمثال، وكان له اختصاص بالمأمون، ينظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ١٨/١٢- ١٩ ؛ ياقوت: معجم الأدباء، ١٨١٤/٤- ١٤١٦.

الدنيا عوض من يوم يضيع فيها ، يمكن فيه العمل الصالح"[1] ، ومن أخباره مع المأمون"أنه كان بحضرة المأمون فجمش غلاماً ، فرآهما المأمون فأحبّ أن يعلم هل علم عليّ أم لا ، فقال له: أرأيت ؟ فأشار عليّ بيده وفرق أصابعه أي خمسة ، وتصحيف خمسة جمّشه"[2] ، وسأله المأمون عن العشق فقال: هو "ارتياح في الخلقة ، وفكرة تجول في الروح ، وسرور منشأه الخواطر ، له مستقر غامض ومحل لطيف المسالك يتصل بأجزاء القوى وينساب في الحركات"[3].

ومن اختص بالمأمون أيضاً القاضي يحيى ين أكثم[4] ، ويروى أن المأمون قَالَ ليحيى بن أكثم: من الَّذِي يَقول - وهو يُعرّض بِهِ-:

قاضٍ يري الحدَّ في الزنا ولا ... يرى على من يلوط من باس

قال: أو ما يعرف أمير المؤمنين من قاله؟ قال: لا ، قال: يقوله الفاجر أحمد بن أبي نُعَيم الذي يقول:

أميرنا يرتشي وحاكمنا ... يلوط والرأس شر ما راسِ

لا أحسب الجور ينقضي وعلى الـ ... أمة وال من آل عباس

---

١ - الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ١٢/١٨- ١٩.

٢ - ياقوت: معجم الأدباء، ١٨١٤/٤ ؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ١٩٧/٢١.

٣ - ياقوت: معجم الأدباء، ١٨١٦/٤.

٤ - هو أبو محمد يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن بن سمعان بن مشنج، من ولد أكثم بن صيفي التميمي، وهو مروزي سمع عبد اللَّهِ بْن المبارك، والفضل بن مُوسَى السيناني، روى عنه محمد بن إسماعيل البخاري، وأبو حاتِم الرازي وغيرهم، كان عالِمًا بالفقه، بصيرًا بالأحكام، وولاه المأمون القضاء ببغداد، وتوفي سنة ٢٤٣هـ، ينظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ١٩٥/١٤- ٢٠٥.

قال: فأفحم المأمون وأسكت خجلاً [1] ، قال الخطيب البغدادي ثم أنّ يحيى بن أكثم "غلب على المأمون ، حتى لم يتقدمه أحد عنده من الناس جميعاً ، وكان المأمون ممن برع في العلوم ، فعرف من حال يحيى بن أكثم وما هو عليه من العلم والعقل ما أخذ بمجامع قلبه ، حتى قلده قضاء القضاة ، وتدبير أهل مملكته ، فكانت الوزراء لا تعمل في تدبير الملك شيئاً إلاّ بعد مطالعة يحيى بن أكثم"[2].

وكان المأمون يستخدم أحيانا الندماء لمعرفة الأخبار والتجسس على الأمراء وكبار رجالات الدولة ، وذلك لما كان يتمتع به الندماء من خفة وفطنة ودقة ملاحظة ، فيروى أن المأمون نُقلَ له أن أميرا حرس له لا عمل لهما من الصباح الباكر إِلى الليل سوى ضرب الرّقاب والشنق وقطع الأيدي والأرجل والجلد والزج في السجن ، الناس يمتدحون أحدهما ويثنون عليه ويعرفون له حقه باستمرار وهم عنه راضون وبه مسرورون ، في حين أنهم يسبون الآخر ويذكرونه بالشر والسوء وهم دائمو الشكوى والتذمر منه يلعنونه ويدعون عليه ما ذكر اسمه ولست ادري سبباً لهذا ليت أحداً يستطيع أن يتبين لي حقيقة الأمر ، إن عمل الرجلين واحد فلم يثني الناس على أحدهما ويتذمرون من الآخر ، قال أحد الندماء إن يتفضل مولاي بندبي لهذا الأمر وإمهالي ثلاثة أيام آته بحقيقته قال المأمون: لك هذا ، فذهب النديم وأتاه بخبرهما ، فتملك المأمون العجب من فعل نديمه[3].

واتخذ الخليفة المعتصم بالله(٢١٨-٢٢٧هـ) الندماء أيضاً ، كان منهم حمدون بن إسماعيل بن داود بن حمدون ، الذي اختص به ، وروي عنه أنه قال: "دعاني المعتصم يوماً فدخلت إليه وهو في بعض مجالسه ، وإلى جنبه باب صغير ، فحادثته ملياً إلى أن رأيت الباب قد حرّك وخرجت منه جارية بيضاء

---

١ - الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٤/٢٠٠.

٢ - تاريخ بغداد، ١٤/٢٠١.

٣ - نظام الملك: سير الملوك، ص١٧٧- ١٨١.

مقدودة حسنة الوجه ، وبيدها رطل وعلى عنقها منديل ، فأخذ الرطل من يدها فشربه ، ثم قال: اخرج يا حمدون ، فخرجت فكنت في دهليز الحجرة ، فلم ألبث أن دعاني ، فدخلت وهو جالس على حاله ، فحادثته ملياً ثم حرك ذلك الباب فخرجت جارية كأحسن ما يكون من النساء سمراء رقيقة اللون بيدها رطل ، فأخذه وشربه ، وقال: ارجع إلى مكانك ، فخرجت فلبثت ساعة هناك ، ثم دعاني فأتيته وحادثته ساعة ، وحرك الباب فخرجت أحسن الثلاث بيدها رطل ومعها منديل ، فأخذ الرطل فشربه ، وقال: ارجع إلى مكانك ، فخرجت فلبثت ساعة ، ثم دعاني فدخلت فقال لي: أتعرف هؤلاء ؟ قلت: معاذ الله أن أعرف أحداً ممن هو داخل دار أمير المؤمنين ، فقال: إحداهن ابنة بابك الخرّمي ، والأخرى ابنة المازيار ، والثالثة ابنة بطريق عمورية ، افترعتهنّ الساعة ، وهذا نهاية الملك يا حمدون"[1].

وحذا الخليفة الواثق(٢٢٧-٢٣٢هـ) حذو من سبقه ، فعرف عنه إسرافه وبذخه على الندماء في مجالس الغناء ، فقيل أنه أقام مجلسين في ليلة واحدة[2] ، وروي أنه دفع ثلاثين ألف درهم لكل من مخارق وإسحق ، إذ: "أنه أرسل في طلب مخارق ودعا خادماً فأمره بضرب الستارة وأحضر الجارية وقعد على كرسي ثم قال: هات يا مخارق! فاندفعت فألقيت الصوت عليها حتى أخذته فقال: أحسنت والله يا مخارق وأحسن أستاذك فهل لك في المقام عندنا اليوم فقلت ياسيدي هذا آخر أيامنا وإنما جئت لموقع الصوت مني حتى ألقيته على الجارية ، فقال يا غلام: احمل معه ثلاثين ألف درهم وإلى الموصلي ثلاثمائة ألف درهم"[3].

---

١ - ياقوت: معجم الأدباء، ١٦٨/١.

٢ - ينظر: مليحة رحمة لله، الحالة الاجتماعية في العراق ،ص٩٠.

٣ - أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ١٩٨/٥.

ومن ندمائه المشهورين الحسين بن الضحاك[1] ، الذي دخل عليه بعد بيعته وأنشده قصيدة ، فقال الواثق: إن كان الحسين لينطق عن حسن طوية ويمدح بخلوص نية ثم أمر بأن يعطى لكل بيت قاله من هذه القصيدة ألف درهم[2] ، وجعله نديمه فكان يصحبه في سفره[3] ، وروي عنه أنه قال: " دخلت على الواثق ذات يوم وفي السماء لطخ غيم فقال لي: ما الرأي عندك في هذا اليوم ، فقلت: ياأمير المؤمنين ما حكم به ، وأشار إليه قبلي أحمد بن يوسف ، فإنه أشار بصواب لا يرد وجعله في شعر لا يعارض ، فقال: وما قال؟ فقلت:

أرى غيمــــاً تؤلّــــه جَنُــــوبٌ وأحســـــبَه ســــيأتينا بهَطْــــلِ

فعـــينُ الــرأي أن تــدعو برِطــلٍ فتشـــربه وتـــدعو لـــي برِطـــلِ

فقال أصبتما ودعا بالطعام وبالشراب والمغنين والجلساء واصطبحنا[4].

روي أنه كان لحضرة الخليفة المتوكل(٢٣٢-٢٤٧هـ) ندماء لا ينفكون عنه ولا يفارقونه يتدخلون في جميع أموره الشخصية والعامة ويطلعون على أسراره الخاصة ، منهم عبادة المخنث[5] ، الذي أذن له الدخول معه على كل حال ، فدخل عليه وهو نائم مع جارية سوداء كان يحبها ، فلما رآه أمرها أن تغطي

---

١ - هو أبو علي الحسين بن الضحاك بن يسار البصري الشاعر، المعروف بالخليع مولى باهلة، خراساني الأصل، أقام ببغداد ينادم الخلفاء دهراً طويلاً، وله مع أبي نواس أخبار، ونادم الخلفاء من الرشيد إلى المستعين، توفي سنة ٢٥٠هـ. ينظر الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ،٨/ ٥٤؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق ،١٤/ ٧٠- ٧٧.

٢ - أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ،٧/ ١٧٥.

٣ - المصدر نفسه،١٧٧/٧.

٤ - المصدر نفسه،١٧٨/٧.

٥ - عبادة المخنث كان نديم الخليفة المتوكل، وكان صاحب نوادر ومجون، توفي ببغداد سنة ٢٥٠هـ. ابن ماكولا: الإكمال ،٢٨/٦؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق ،٢٢١/٢٦؛ الكتبي: فوات الوفيات ،١٥٣/٢.

وجهها ، فقال: ياأمير المؤمنين ، ومن معك؟ قال: ويلك! وبلغ فضولك إلى هذا الموضع! ، ومدت الجارية رجلها فبانت سوداء ، فقال: ياأمير المؤمنين ؛ تنام ورجلك في الخف ، فقال المتوكل: قم عليك لعنة الله! وضحك وأمر له بصلة فأخذها وانصرف[1].

وكان عبادة يشرب بين يديه ويترك في القدح فضلة ، فقال: ياعبادة ، ما تدري ما يقول الناس؟ قال: وما هو؟ قال: يقولون إن شارب النبيذ إذا شرب وعبس وجهه وفضلت في القدح فضلة فإن إبليس يضرب قفاه ويقول: اشرب فضلة ما استطبت ، فمضت الأيام واصطبح المتوكل وعبادة حاضر ، وشرب قدحاً كان في يديه وفضلت فضلة ، فقال: يا أمير المؤمنين ، جاءك الرجل[2].

واعتاد الندماء أن يتزلفوا إلى الحاكم ويطلبوا رضاه حتى وإن كان ذلك في معصية الله ، فنراهم يزينون مجلسه بأنواع الشراب و مختلف اللهو فضلاً عن الغناء والرقص وما شابه ذلك ، فيصغرون من شأنه ويستهينون بشخصه ويتطاولون على حضرته ولعل ما فعلته بعض جواري الخليفة المتوكل خير دليل على ذلك:

فروي أن فضل الشاعرة تميل إلى بنان[3] وتكاتم المتوكل بحبه ، وكانت تجلس مع الندماء ، بارزة على كرسي ، فقال لها المتوكل: إقترحي صوتك على بنان ، فقالت: ما لي عليه صوت ، فقال له: بحياتي غن صوتها عليك! فغنى بشعر سلم الخاسر:

إسمعـــــــي أو خبرينـــــــا   يـــــا ديـــــار الظاعنينـــــا

---

١ - الحصري: جمع الجواهر ،ص٦٨.

٢ - المصدر نفسه، ص٦٨.

٣ - هو بنان بن عمرو أحد المغنين نادم المتوكل والمعتز، ينظر: أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ١٦٩/١٨، ٣٢٥/١٩.

إن قلـــــبي لـــــك رهـــــنٌ بالـــــذي قـــــد تعلمينـــــا

فأمر أن يسقى رطلاً ، فسقيته ، وأمره بإعادته فغناه ، فسقيته ثانياً ثم أعاده فسقيته ثالثاً ، قال علي بن يحيى: وقمت إلى الخلاء ، وإذا بفضل قد عارضتني ، وقالت: إسمع ياأبا الحسن ما قلت ، فقلت: هات ، فأنشدتني هذه الأبيات[1]:

قـــد تغـــني لـــي بنـــان إسمعـــي أو خبرينـــا

وشـــريت الـــراح فارتحـــت وأبـــدت لـــي شـــجونا

ثـــم أظهـــرت لجـــلا ســـي مـــن الســـر مصونـــا

قـــل لمـــولاي ولا تخـــشـــى وقـــل قـــولاً مبينـــا

رب صـــوت حســـن قـــد ألـــبس الـــرأس قرونـــا!

أنـــت قـــواد نبيـــل يـــا أمـــير المؤمنينـــا!

فأي مهانة ورذيلة وأي مكانة ذليلة أوصل هؤلاء الندماء الخليفة إليها ، عندما يصبح ألعوبة وأضحوكة بأيديهم ، يرقص ويترنح أمام ناظريهم ، فانسلخ عن الحياء ، وغابت عنه الكرامة ، حتى لا يبقى له وقار ، ولا يقر له قرار ، ولا تخفى له أسرار ، لذلك نجد أن تلك المجالس قد استغلها الندماء في الإملاء على الخليفة بكل ما يريدون أو يتمنون.

ومن ندماء المتوكل يزيد بن محمد المهلبي[2] ، وكان قد حضر قتله فقال يلوم الخلفاء ويهجو الأتراك[3]:

لما اعتقدتم أناسا لا حفاظ لهم ضعتم وضيّعتم ما كان يعتقد

١ - أبو الفرج الأصفهاني: الإماء الشواعر، ص٨١.

٢ - يزيد بن محمد بن المهلب بن المغيرة بن حرب بن محمد بن المهلب بصري، قدم بغداد، ونادم جعفر المتوكل، وكان أديبًا شاعرًا. ينظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ٣٥٠/١٤.

٣ - ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٦٧/٧٢.

ولـو جعلـتم علـى الأحـرار نعمـتكم حمــتكم الـــذّادة المنســوبة الحســـد

قـوم هـم الجـذم والأرحـام تجمعكـم والمجــد والـــدين والإســلام والبلـــد

إنّ العبيـــد إذا ذلّلـــتهم صلحـــوا علـى الهـوان وإن أكـرمتهم فسـدوا

مـا عنـد عبـد لمـن يرجـوه محتمـل ولا علـى العبـد عنـد الخـوف معتمـد

فاجعــل عبيــدك أوتــادا تشحجهــا لا يثبـت البيـت حتـى يثبـت الوتـد

وممن حضر قتل المتوكل نديمه عبادة ، فلما رأى صورة الحال قفز وقال: ألف حياة بعدك يا أمير المؤمنين[١] ، مما يعني أنه لم يكن من المخلصين له بل كان يصطنع الكلام.

واتخذ الخليفة المنتصر(٢٤٧-٢٤٨هـ) من صالح بن محمد المعروف بالحريري نديماً له ، فكان يجالسه ويسأله عن العشق والنساء[٢] ، كما اتخذ من قتلة أبيه ندماء له أيضاً ، فكان إذا جلس للشرب معهم يعربد عليهم ويقول: أنتم قتلتم أبي فيقولون: قتله من قتله ، نحن ما ندري ، ثم إنهم اجتمعوا وتشاوروا وقالوا: ما نلقى من هذا الرجل خيراً وإن أمكنه فرصة أهلكنا بأسرنا فتعالوا نعاجله قبل أن يعاجلنا ، فاجتمع رأيهم على أن بذلوا لطبيب مالاً وقالوا له: إن المنتصر معوّل على الفصد في هذا الفصل فأفصده بمبضع مسموم ولك هذا المال ، فأخذ المال منهم وفصده بمبضع مسموم فمات[٣].

أما الخليفة المستعين(٢٤٨-٢٥٢هـ) فكان مستضعفاً غلب عليه الأتراك ، ومع ذلك كان كما قال ابن العمراني: "يدّعى معرفة الأدب ولم يكن يحسن شيئا منه ، ويتشاعر ولم يكن شاعراً ، وكان مغرى بالتصحيفات ، وكان إذا جلس في

---

١ – ابن العمراني: الأنباء في تاريخ الخلفاء، ص١٢٠.

٢ – المسعودي: مروج الذهب، ٣٩٩/٤.

٣ – ابن العمراني: الأنباء في تاريخ الخلفاء، ص١٢٢.

مجلس الأنس يقول لندمائه: أيّ شيء يكون تصحيف مجدّة؟ فيقولون: لا نعلم فيقول هو: مخدّة فيقولون: أحسنت يا مولانا عين الله عليك ، وكان يقول: أيّ شيء يكون تصحيف ناب ويومئ بيده إلى الباب ، وأشياء من هذا وشبيهه ، وكان من شعره الّذي أمر المغنّين أن يغنوا به:

يـــا قـــوم أنـــا المســـتعين عشـــقت ظبيـــا سمـــين

كأنـــه غصـــن تيـــن بالمصـــحف أي عـــالمين

ما في السما مسلمين

وكان يقول للمطربين غنّوا بشعري فيغنون به والجلساء يتضاحكون ، فعمل يوما هذين البيتين وأمر المغنين أن يغنوا بهما ، وهما:

شربت كأسا كشفت عن ناظري فنشطتنى ولقد كنت حزينا حائرا

ثم قال باللّه عليكم أجيزوها ببيت آخر فقال واحد منهم:

هذا خرا ، هذا خرا ، هذا خرا ، هذا خرا

وكان لاحتماله ولطافة أخلاقه يسمع مثل ذلك ولا يؤاخذهم به"[١] ، وهو مع كل ذلك لم يحسن التصرف بالأموال حتى أنه أخرج خزانة الخلافة وما فيها من جواهر ووزعها على ندمائه ومغنيه[٢].

وسار الخليفة المعتز بالله(٢٥٢-٢٥٥هـ) على نفس المنوال ، فبعد أيام من بيعته جلس للمنادمة ، وكان ممن حضر تلك الجلسة ونادمه فيها البحتري[٣] الذي امتدحه بقصيدة طويلة ، وقد وصف البحتري تلك الجلسة قائلا: "فكنت

---

١ - الأنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٢٦- ١٢٧.

٢ - المسعودي: مروج الذهب، ٤٢١/٤ ؛ ابن العمراني: الأنباء في تاريخ الخلفاء، ص١٢٧.

٣ - هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي البحتري شاعر من أهل منبج، رحل إلى العراق ومدح الخلفاء المتوكل وما بعده، ثم رحل الشام ومات فيها سنة ٢٨٥هـ، ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٤٥١/١٣- ٤٥٥.

أصعّد بصرى وأصوّبه في صباحته وأتعجّب من صنع الله تعالى في إبداع صورته ففطن بى والتفت إليّ وقال لي: يا بحتري في أيّ شيء تتأمّل مني؟ قلت له: يا مولاي التاج يزين الوجوه كلها إلا وجهك فإنه يزين التاج ولو وضعته لكنت أجمل ، فوضعه من رأسه فرأيت من سواد شعره على بياض جبهته ما أدهشني ، فقال لي: يا بحتري أتستحسن صورتي؟ قلت: نعم قال: أفتشتهي أن تقبّلني؟ قلت: نعم أقبّل رجلك قال: لا ولكن خذ يدي ومدّها إليّ فقبّلتها ، فلما شربنا وانتشينا أخذني إلى زاوية وقال: يا بحتري بحياتي عليك وبتربة جعفر المتوكل إلا ما قبّلت وجهي فامتثلت أمره وقبّلته وقال لي: هذا لك عليّ رسم مستمرّ كلما سكرنا ، وكان بعد ذلك يقول: يا بحتري قد اجتمعت لك عليّ ديون متى تقبضها... فحين أنهيت القصيدة أمر لي بمائة ألف درهم وقال: لا تعلم بها الشعراء فإنّي قد أمرت لهم بخمس مائة ألف درهم فإذا علموا بما أعطيتك لم يفرزوا نصيبك فخذ هذه وامض وخذ نصيبك معهم"[١].

وكان الخليفة المهتدي(٢٥٥-٢٥٦هـ) على الضد ممن سبقه ، زاهداً في الدنيا مقتصداً فيها ، متمسكاً بالسجايا الجميلة ، مجانباً الأخلاق الرذيلة ، نائياً عن فحش القول ، وخفة العقل ، وخصلة الهزل ، وصفته المصادر أنه كان" زاهداً ورعاً صوّاماً قوّاماً ، لم تعرف له زلّة ، وكان سهل الحجاب كريم الطبع يخاطب أصحاب الحوائج بنفسه ويجلس للمظالم بنفسه ، وكان يلبس القميص الصوف الخشن تحت ثيابه على جلده ، وكان يقول: لو لم يكن الزهد في الدنيا والإيثار لما عند الله من طبعي لتكلّفته وتصنّعته فإن منصبي يقتضيه فإنّي خليفة الله في أرضه والقائم مقام رسوله النائب عنه في أمته ، وإني لأستحي أن يكون لبني مروان عمر بن عبد العزيز وليس لبني العباس مثله وهم آل الرسول- صلّى الله

---

١ - ابن العمراني: الأنباء في تاريخ الخلفاء، ص١٢٨- ١٢٩.

عليه وسلم- وبه ألزم وإليه أقرب"[١] ، وعندما امتدحه البحتري الشاعر بقصيدة استحسنها قال له "ليس لي مال أصلك به ولا أرى لك في بيت مال المسلمين حقّاً ، ولكني أفعل معك فعلاً آخر ، وأمر بإحضار أهله وأقاربه وقال لهم: أبو عبادة خطيب بيتنا وشاعر دولتنا وليس في يدي شيء سوى الأموال التي في بيت مال المسلمين وهي وديعة في يدي والله يسألني عنها يوم القيامة ويحاسبني عليها فأجيزوا أبا عبادة عني ، فجمعوا لي بينهم في الحال مائة ألف درهم ، فقال المهتدي: يا أبا عبادة والله ما ملكت عشرها قط ولا أملكه إن شاء الله"[٢].

وكان المهتدي عارفاً بأيام الناس وأخبارهم وإذا جلس مجلسا ذكر سيرة الزهاد والصالحين ، فروى محمد بن علي الربعي – وكان نديماً له – "قال: كنت أبايتُ في الليالي المهتدي فقال لي ذات ليلة: أتعرف خبر نوف الذي حكاه عن عليّ بن أبي طالب حين كان يُبَايته؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين ، ذكر نوف قال: رأيت عليّاً رضي اللّه عنه ليلة قد أكثر الخروج والدخول والنظر إلى السماء ، ثم قال لي: يا نوف ، أنائم أنت؟ قال: قلت: بل رامقٌ أرمق بعيني منذ الليلة يا أمير المؤمنين ، فقال لي: يا نوف ، طوبى للزاهدين في الدنيا ، الراغبين في الآخرة ، أولئك قوم اتخذوا أرض اللّه بساطاً ، وترابها ثياباً ، وماءها طِيباً ، والكتاب شعاراً ، والدعاء في دثاراً ، ثم قرضوا الدنيا قرضاً على منهاج المسيح ابن مريم عليه السلام ، يا نوف ، إن اللّه تعالى أوحى إلى عبده عيسى عليه السلام أنْ قُلْ لبني إسرائيل ألّا يدخلوا إليَّ إلا بقلوب وَجِلَة ، وأبصار خاشعة ، وأكُف نقية ، وَأعْلِمْهُمْ أني لا أجيب لأحد منهم دعوة ولأحَدٍ من خلقي قبلهم مَظْلمة ، قال محمد بن علي الربعي: فو اللّه لقد كتب المهتدي هذا الخبر بخطه ،

---

١ - ابن العمراني: الأنباء في تاريخ الخلفاء، ص ١٣٣ ؛ ينظر أيضاً: المسعودي: مروج الذهب، ٤٣٥/٤؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٤٢٧- ٤٢٨.

٢ - ابن العمراني: الأنباء في تاريخ الخلفاء، ص١٣٦.

وقد كنت أسمعه في جوف الليل وقد خلا بربه في بيت كان لخلوته وهو يبكي ويقول: يا نوف ، طوبى للزاهدين في الدنيا ، الراغبين في الآخرة ، ويمرُّ في الخبر إلى آخره ، إلى أن كان من أمره ما كان مع الأتراك وقتلهم إياه"[1].

أما المعتمد على الله(٢٥٦-٢٧٩هـ) فانهمك باللهو واللذات وترك أمر تدبير الرعية لأخيه الموفق[2] ، ومن ندمائه عبيد الله بن خرداذبه ، قال المسعودي "كان المعتمد مشغوفاً بالطرب ، والغالب عليه المعاقرة ومحبة أنواع اللهو والملاهي ، وذكر عبيد الله بن خرداذبه أنه دخل عليه ذات يوم ، وفي المجلس عدة من ندمائه من ذوي العقول والمعرفة والحجى ، فقال له: أخبرني عن أول من اتخذ العود ، قال ابن خرداذبه: قد قيل في ذلك ياأمير المؤمنين أقاويل كثيرة: أول من اتخذ العود لمك بن متوشلخ بن محويل بن عاد بن خنوخ بن فابن بن آدم... ففرح المعتمد في هذا اليوم ، وخلع على ابن خرداذبه ، وعلى مَنْ حضره من ندمائه ، وفَضَّله عليهم ، وكان يوم لهو وسرور...فلما كان في صبيحة تلك الليلة دعا المعتمد مَنْ حضره في اليوم الأول ، فلما أخذوا مراتبهم من المجلس قال لبعض مَنْ حضره من ندمائه ومغنيه صف لي الرقص وأنواعه ، والصفة المحمودة من الرقص ، واذكر لي شمائلُه... قال المسعودي: وللمعتمد مجالسات ومذاكرات ومجالس قد دُوَنت في أنواع من الأدب ، منها: مدح النديم ، وذكر فضائله ، وذم التفرد بشرب النبيذ ، وما قيل في ذلك من المنثور والشعر ، وما قيل في أخلاق

---

١ - المسعودي: مروج الذهب ،٤/ ٤٣٧- ٤٣٨.

٢ - هو أبو أحمد طلحة بن جعفر بن المعتصم العباسي، الملقب بالموفق، أمير عباسي لم يل الخلافة اسما، ولكنه تولاها فعلا عن أخيه المعتمد على الله ، فنهض بالدولة وصدّ عنه غارات الطامعين بالملك، ثم حجر على أخيه، حتى كان المعتمد يتمنى الشيء اليسير فلا يحصل عليه، وكان شجاعاً موفقاً عادلاً، عالماً بالأدب والأنساب والقضاء، حارب الزنج واستأصلهم، ومهد السبيل بالخلافة لأبنه المعتضد وكان يلقب بالسفاح الثاني لأنه مهد للدولة بعد أن أشرفت على الزوال، كانت وفاته سنة ٢٧٨هـ، ينظر: ابن العمراني: الأنباء في تاريخ الخلفاء، ص١٣٧.

النديم وصفاته وعفافه وأَمْنِ عَبَثِه ، والتداعي إلى المنادمات والمراسلات في ذلك ، وعدد أنواع الشرب في الكَثرة ، وهيئة السماع وأقسامه وأنواعه ، وأصول الغناء ومباديه في العرب وغيرها من الأمم ، وأخبار الأعلام من مشهوري المغنين المتقدمين والمحدثين ، وهيئة المجالس ، ومنازل التابع والمتبوع وكيفية مراتبهم ، وتعبية مجالس الندماء والتحيات"[١].

أما الخليفة المعتضد(٢٧٩-٢٨٩هـ) فكان كما يقول السيوطي: "ملكاً شجاعاً ، مهيباً ، ظاهر الجبروت وافر العقل ، شديد الوطأة ،... قليل الرحمة ، إذا غضب على قائد أمر بأن يلقى في حفرة ويطم عليه"[٢] ، ولما تولى الخلافة أبطل المضارب "وحكى عبد اللّه بن حمدون[٣] - وكان نديمه وخاصته ، وممن كان يأنس به في خلواته - أنه أمر أن تنقص حَشَمُه ومن كان يجري عليه الأنزال من كل رغيف أوقية ، وأن يبتدأ بأمر خبزه ، لأن للوصائف عدداً من الرغفان فيها ثلاث لذا وأربع لذا وأكثر من ذلك ، قال ابن حمدون: فتعجبت من ذلك في أول أمره ، ثم تبينت القصة ، فإذا أنه يتوفر من ذلك في كل شهر مال عظيم"[٤].
عظيم"[٤].

وبسبب ذلك هابه الناس وذلت له الأكابر وخشي بأسه المقربون من الندماء والوزراء والقادة ، ونكتفي بحكاية له مع أحد المضحكين تظهر لنا حزمه وقوة تدبيره أوردها المسعودي نذكرها بطولها - قال: "كان ببغداد رجل يتكلم على الطريق ، ويقصُّ على الناس بأخبار ونوادر ومَضَاحَك ويعرف بابن المغازلي -

---

١ - مروج الذهب: ٤٥٦/٤، ٤٥٩، ٤٦٠.

٢ - تاريخ الخلفاء، ص٢٦٨.

٣ - أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمدون النديم توارث ذلك عن آبائه الذين كانوا ندماء الخلفاء فنادموا المعتصم والواثق والمتوكل والمستعين، توفي سنة ٣٠٩هـ ، ابن العمراني: الأنباء في تاريخ الخلفاء، ص٢٩١.

٤ - المسعودي: مروج الذهب، ٤٦٤/٤.

وكان في نهاية الحذق لا يستطيع من يراه ويسمع كلامه أن لا يضحك - قال ابن المغازلي: فوقفت يوماً في خلافة المعتضد على باب الخاصة أضحك وأنادر، فحضر حلقتي بعضُ خدمة المعتضد، فأخذت في حكاية الخدم، فأعجب الخادم بحكايتي، وأشغف بنوادري، ثم انصرف عني، فلم يلبث أن عاد وأخذ بيدي، قال: إني لما انصرفت عن حلقتك دخلت فوقفت بين يدي المعتضد أمير المؤمنين، فذكرت حكايتك وما جرى من نوادرك فاستضحكت، فرآني أمير المؤمنين، فأنكر ذلك مني، وقال: ويلك مالك، فقلت: يا أمير المؤمنين على الباب رجل يعرف بابن المغازلي يُضّحِك ويحاكي، ولا يدع حكاية أعرابي وتركي ومكي ونجدي ونبطي وزنجي وسندي وخادم إلا حكاها، ويخلط ذلك بنوادر تضحك الثكول وتُصّبي الحليم، وقد أمرني بإحضارك ولي نصف جائزتك، فقلت له وقد طمعت في الجائزة السنية: ياسيدي، أنا ضيف وعليَّ عَيِّلَة، وقد مَنَّ اللّه عليَّ بك فما عليك إن أخذت بعضها سدسها أو ربعها، فأبى إلا نصفها، فطمعت في النصف وقنعت به، فأخذ بيدي وأدخلني عليه، فسلمت وأحسنت، ووقفت في الموضع الذي أوقفت فيه، فردَّ عليَّ السلام، وقد كان ينظر في كتاب، فلما نظر في أكثره أطبقه ثم رفع رأسه إليَّ وقال لي: أنت ابن المغازلي؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، قال: قد بلغني أنك تحكي وتُضحِك، وأنك تأتي بحكايات عجيبة ونوادر طريفة، قلت: نعم يا أمير المؤمنين، الحاجة تَفْتق الحيلة، أجمع بها الناس، وأتقرب إلى قلوبهم بحكايتها، ألتمس برّهم، وأتعيش بما أناله منهم، قال: فهات ما عندك، وخُذْ في فنك، فإن أضحكتني أجزتك بخمسمائة درهم، وإن لم أضحك فما لي عليك؟ فقلت للحَيْنِ والخذلان: ما معي إلا قَفَاي فاصفعه ما أحببت، وكم شئت، وبما شئت، فقال لي: قد أنصفتَ، إن ضحكت فلك ما ضمنت، وإن أنا لم أضحك صفعتك بهذا الجراب عَشْرَ صفعات، فقلت في نفسي: ملك لا يصفع إلا بشيء يسير،

وبشيء خفيف هَيِّن ، ثم التفت وإذا أنا بجراب أَدَم ناعم في زاوية البيت ، فقلصَ في نفسي: ما أخطأ حَزْري ، ولا أَخْلَفَ ظني ، وما عسى أن يكون من جِرَابِ فيه ريح ، إن أنا أضحكته ربحت ، وإن أنا لم أضحكه فأمر عشر صفَعات بجِرَاب منفوخ هَيِّن ، ثم أخذت في النوادر والحكايات والنفاسة والعبارة ، فلم أدع حكاية أعرابي ولا نحوي ولا مُخَنث ولا قَاضٍ ولا زُطِّي ولا نَبَطي ولا سندي ولا زنجي ولا خادم ولا تركي ولا شطارة ولا عيارة ، ولا نادرة ولا حكاية إلاّ أحضرتها وأتيت بها ، حتى نفد جميع ما عندي وتصدَّعَ رأسي وانقطعت وسكت ، وَفَتَرْت وَبَرَدْت ، فقال لي: هيه ، هات ما عندك ، وهو مغضب لا يضحك ولا يبتسم ولم يبق ورائي خادم إلا هرب ، ولا غلام إلا ذهب لما استَفَزَّهم الضحك وورد عليهم من الأمر ، فقلت: يا أمير المؤمنين قد نفد والله ما معي ، وتصدَّعَ رأسي ، وذهب معاشي ، وما رأيت قط مثلك ، وما بقيت لي إلا نادرة واحدة ، فقال: هاتها ، فقلت: يا أمير المؤمنين وعَدْتني أن تصفعني عشراً وجعلتها مكان الجائزة ، فأسألك أن تضعف الجائزة وتضيف إليها عشراً ، فأراد أن يضحك فاستمسك ، ثم قال: نفعل ، يا غلام خذ بيده ، فأخذ بيدي ومددت قَفَاي فصفعت بالجِرَاب صفعة ، فكأنما سقط على قَفَاي قلعة ، وإذا فيه حصى مُدَوِّر كأنه صنجات ، فصفعت له عشراً كادت أن تنفصل رقبتي وينكسر عنقي طَنت أذناي ، وقدح الشعاع من عيني ، فلما استوفيت العشرة صِحْت: يا سيدي ، نصيحة ، فرفع الصفح عني بعد أن عزم على إيفاء ما كنت سألته من إضعاف جائزتي ، فقال: ما نصيحتك؟ فقلت: يا سيدي ، إنه ليس في الديانة أحسن من الأمانة ، ولا أقبح من الخيانة ، وقد ضمنت للخادم الذي أدخلني عليك نصف الجائزة على قلتها أو كثرتها ، وأمير المؤمنين أطال اللّه بقاءه بفضله وكرمه قد أضْعَفَهَا ، فقد استوفيت نصفها ، وبقي لخادمك نصفها ، فضحك حتى استلقى ، واستفزه ما كان قد سمعه مني أولاً ، وتحامل له وصبر عليه ،

فما زال يضرب بيده ويفحص برجله ويمسك بمَرَاق بطنه ، حتى إذا سكن ضحكه ورجَعَتْ إليه نفسه قال: عليَّ بفلان الخادم ، فأتي به ، وكان طُوَالاً ، فأمر بصفعه ، فقالَ: ياأمير المؤمنين ، أي شيء قضيتي؟ وأي جناية جنايتي؟ فقلت له: هذه جائزتي ، وأنت شريكي ، وقد استوفيت نصفها ، وبقي نصيبك منها فلما أخذه الصفع وطرق قَفَاه الصافع أقبلت عليه أقول له: قلت لك: إني ضعيف مُعِيل وَشَكَوت إليك الحاجة والمسكنة ، وأقول لك: يا سيدي ، لا تأخذ نصفها ، لك سدسها ، لك ربعها ، وأنت تقول: ما آخذ إلا نصفها ، ولو علمت أن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه جوائزه صَفع وهبتها لك كلها ، فعاد إلى الضحك من قولي للخادم ، وعتابي له ، فلما استوفى صفعه وسكن أمير المؤمنين من ضحكه أخرج من تحت تكأته صرَّة قد كان أعَدَّهَا فيها خمسمائة درهم ، ثم قال له وقد أراد الانصراف: قفْ ، هذه كنت أعددتها لك ، فلم يَدَعْكَ فضولك حتى أحضرت لك شريكاً فيها ، ولعلني كنت أمنعه منها...فقسم الدراهم بيننا وانصرفنا"[1].

وروى الخطيب البغدادي قال حدث عَبْد اللَّه بْن حمدون نديم المعتضد قَالَ: " قال لي المعتضد ليلة: - وقدم له عشاء- لقمني ، قال: وكان الذي قُدِّمَ فراريج ودراريج ، فلقمته من صدر فَرُّوجٍ فقال: لا ، لقمني من فخذه ، فلقمته لقما ، ثم قَالَ: هات من الدراريج ، فلقمته من أفخاذها فقال: ويلك هو ذا تتنادر عَلَيَّ؟ هات من صدورها ، فقلت: يا مولاي ركبت القياس ، فضحك فقلت له: إلى كم أضحكك ولا تضحكني؟ قال: شل المطرح وخذ ما تحته ، قَالَ فشلته فإذا دينار واحد ، فقلت:

آخذ هذا؟! فقال: نعم ، فقلت له: بالله هو ذا ، تتنادر أنت الساعة علي ، خليفة

---

١ - مروج الذهب: ٤/٤٧٧- ٤٧٩.

يجيز نديمه بدينار؟ فقال: ويلك لا أجد لك فِي بيت المال حقا أكثر من هذا"[1].

ومن سيرة المعتضد يمكن القول أن الندماء على دين ملوكهم ، فمن ندماء المعتضد أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل النحوي الزجاج(ت٣١١هـ) كَانَ من أهل الفضل وَالدين ، حسن الاعتقاد ، جميل المذهب ، وله مصنفات حسان فِي الأدب ، وله كتاب معاني القرآن[2] ، ومنهم أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمدون(ت ٣٠٩هـ) الذي توارث ذلك عن آبائه[3].

أما الخليفة المكتفي(٢٨٩-٢٩٥هـ) فلم يتخذ من الندماء إلا من كان من الأكابر من أهل الأدب والكياسة ، ومن أشهر ندمائه محمد بن يحيى الصولي[4] ، قال الصولي كان المكتفي يقول: "ما ينبغي لعاقل أن يدعي ما لا يحسن ، وينبغي للعاقل أن يطلب ما لا يحسن حتى يتعلمه"[5] ، ولعله تأثر بمؤدبه ابن أبي الدنيا[6].

---

١ - تاريخ بغداد، ١٧١/٥.

٢ - ينظر ترجمته: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ٨٦/٦- ٩٠ ؛ ياقوت: معجم الأدباء، ٥١/١- ٦٣.

٣ - ابن العمراني: الأنباء في تاريخ الخلفاء، ص٢٩١.

٤ - هو أبو محمد بن يَحْيَى بن عبد اللَّهِ بن العباس بن محمد بن صول المعروف بالصولي ،كان أحد العلماء بفنون الآداب، حسن المعرفة بأخبار الملوك وأيام الخلفاء، ومآثر الأشراف وطبقات الشعراء، حدث عن أبي داود السجستاني، وأبوي العباس ثعلب والمبرد وغيرهم، وكان واسع الرواية، حسن الحفظ للآداب، حاذقا بتصنيف الكتب ووضع الأشياء منها مواضعها، ونادم عدة من الخلفاء، وصنف أخبارهم وسيرهم، وجمع أشعارهم، ودون أخبار من تقدم وتأخر من الشعراء، والوزراء، والكتاب، والرؤساء، توفي بالبصرة سنة ٣٣٦هـ، ينظر: ابن النديم: الفهرست، ص١٨٤- ١٨٥ ؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ١٩٨/٤- ٢٠٢.

٥ - الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ٣١٥/١١.

٦ - هو أبو بكر عبيد الله بن محمد بن عبيد، قرشياً بالولاء، وكان يؤدب الخليفة المكتفي بالله وكان ورعاً زاهداً عالماً بالأخبار والروايات، وله من الكتب كتاب مكايد الشيطان وكتاب الحلم وكتاب فقه النبي عليه الصلاة والسلام وكتاب ذم الملاهي وكتاب ذم الفحش وكتاب العفو وكتاب ذم المسكر وكتاب التوكيد وكتاب فضل شهر رمضان وكتاب صدقة الفطر

وفي عهد الخليفة المقتدر بالله(٢٩٥-٣٢٠هـ) عاد للوزراء والندماء والكتاب والنساء سطوتهم وكل أخذ حظه منه ، فقد كان مؤثراً للشهوات ، مبذراً ، غلب عليه النساء فأخرج عليهن جميع جواهر الخلافة ونفائسها[١].

أما القاهر بالله(٣٢٠-٣٢٢هـ) فقد وصفه المسعودي قائلا: "كانت أخلاقه لا تكاد تحصل ، لتقلبه وتلونه ، وكان شَهْماً شديد البطش بأعدائه ، وأَبَادَ جماعة من أهل الدولة ،... ، فهابه الناس وَخَشُوا صَوْلته ، واتخذ حربة يحملها في يده إذا سعى في داره ويطرحها بين يديه في حال جلوسه ، ويباشر الضرب بتلك الحربة لمن يريد قَتْله ، فسكن من كان يستعمل على مَنْ قبله من الخلفاء التشغب والتوثب عليهم ، وكان قليل التثبت في أمره ، مَخوفَ السطوة"[٢] ، وهو مع هذا كله "أمر بتحريم القيّان والخمر ، وقبض على المغنين ، ونفى المخانيث ، وكسر آلات اللهو ، وأمر ببيع المغنيات من الجواري على أنهن سواذج ، وكان مع ذلك لا يصحو من السكر ، ولا يفتر عن سماع الغناء"[٣] ، وبالتالي فهو شخصية قلقلة لم يطمئن له جليس أو نديم ، فحكى محمد بن علي العبدي الخراساني الأخباري —وكان من المقربين من القاهر— قال: "خلا بي القاهر فقال: أصدقني أو هذه - وأشار إليّ بالحربة - فرأيت والله الموتَ عيَاناً بيني وبينه ، فقلت: أصدقك يا أمير المؤمنين ، فقال لي: انظر ، يقولها ثلاثاً ، فقلت: نعم يا أمير المؤمنين ، قال: عمّا أسألك عنه ، ولا تُغَيِّبْ عني شيئاً ، ولا تحسن القصة ، ولا تسجع فيها ، ولا تسقط منها شيئاً ، قلت: نعم يا أمير المؤمنين...) ثم سأله عن

وكتاب تزويج فاطمة رضي الله عنها وكتاب القراءة، توفي سنة ٢٨١هـ، ينظر: ابن النديم: الفهرست، ص٢٣٠.

١ - الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ٢٢٥/٧ ؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٤٥٣.

٢ - مروج الذهب، ٥٢٠/٤.

٣ - السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٢٨٠.

أخلاق وشيم بني العباس فحدثه بها[1].

وكان الخليفة الراضي بالله(٣٢٢-٣٢٩هـ) آخر خليفة جالس الندماء[2] ، وصفه المسعودي بالقول: "كان الراضي كثير الاستعمال للطيب ، حسن الهيئة ، سخياً ، جواداً ، حسن المذاكرة بأخبار الناس وأيامهم ، مقرباً لأهل العلم والأدب والمعرفة ، كثير الدنو منهم ، فائضاً بجوده عليهم ، ولم يكن ينصرف عنه أحد من ندمائه في كل يوم إلا بصلة أو خلعة أو طيب ، وكانوا عدة ندماء: منهم محمد بن يحيى الصولي ، وابن حمدون النديم ، وغيرهما ، فعوتب على كثرة إفضاله على مَن يحضره من الجلساء ،... وكان سخياً على سائر الأشياء لا يستكثر لأحد من ندمائه كثرة ما يصل إليه على طول الأيام ، حتى كان بعضهم ربما يتأخر عن الحضور لما يترادف عليه من فضله"[3].

وكان يقول لندمائه: "كلوا معي كما شئت في الجودة واشربوا كما شئتم في الكثرة والقلة"[4].

وكان الصولي من أخص ندمائه ، فذكر "أن الراضي رأى في بعض منتزهاته بالثريا بستاناً مُونقاً ، وزهراً رائقاً ، فقال لمن حضر من ندمائه: هل رأيتم أحسن من هذا؟ فكل قال أشياء ذهب فيها إلى مدحه ووصف محاسنه ، وأنها لا يفي بها شيء من زهرات الدنيا ، فقال: لعبُ الصولي الشطرنج واللّه أحسن من هذا الزهر ومن كل ما تصفون"[5].

وكان الراضي بالله كيساً فطناً ، مستقيماً معدتلاً ، ناهيك عن بلاغته

---

١ - المسعودي: مروج الذهب، ٥٢٠/٤.

٢ - الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ١٤١/٢ ؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٢٨٣.

٣ - مروج الذهب ،٤/ ٥٣٧.

٤ - الثعالبي: الإعجاز والإيجاز ،ص٩١.

٥ - المسعودي: مروج الذهب، ٥٢٨/٤- ٥٢٩.

وحكمته ومما أثر من أقواله لندمائه: "لله أقوام هم مفاتيح الخير، وأقوام مفاتيح الشر، فمن أراد به خيراً قصد به أهل الخير وجعله الوسيلة إلينا فنقضي حاجته، فهو الشريك في الثواب والشكر، ومن أراد به سوءاً عدل به إلى غيرنا، فهو الشريك في الوزر والإثم"[1].

ولما تقلد المتقي لله(٢٢٩-٣٣٣هـ) الخلافة فإنه "لم يغير شيئاً قط، ولا تسرى على جاريته التي كانت له، وكان كثير الصوم والتعبد، ولم يشرب نبيذاً قط، وكان يقول: لا أريد نديماً غير المصحف"[2].

ثم غلب البويهيون على الخلافة في بغداد سنة ٣٣٤هـ فخلعوا الخليفة المستكفي بالله(٣٣٣-٣٣٤هـ) ونصبوا مكانه الخليفة المطيع لله(٣٣٤-٣٦٣هـ)، قال المسعودي: "وغلب على الأمر ابن بُويهِ الديلمي، والمطيع في يده لا أمر له ولا نَهْيَ، ولا خلافة تعرف، ولا وزارة تذكر"[3]، وقال ابن الطقطقى: "ثم اضطربت أحوال الخلافة، ولم يبق لها رونق ولا وزارة، وتملّك البويهيّون وصارت الوزارة من جهتهم والأعمال إليهم، وقرّر للخلفاء شيء طفيف برسم إخراجاتهم"[4].

---

١ - الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ،٢/٥٢٠.

٢ - السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٢٨٤.

٣ - مروج الذهب، ٤/٥٦٣.

٤ - الفخري في الآداب السلطانية، ص٢٧٩

الخاتمة

- النديم في اللغة يحمل عدة معان ، فهي قد تعني مجلس الشراب ، أو الصاحب والجليس من غير شراب ، ثم توسع المعنى ليشمل كل مسامرة ، وفي الاصطلاح هو صاحب النوادر الذي يجالس الملك أو الخليفة أو الأمير.
- من أهم صفات النديم أن يكون حسن المعشر ، حلو الكلام ، أديباً ، نظيفاً ، كتوماً.
- كان اتخاذ الندماء معروفاً عند الأمم القديمة من الروم والفرس والعرب قبل الإسلام.
- استخدم أهل مكة الندماء على نطاق واسع ، وقلما نجد أحد من مشاهيرهم إلا وله نديم.
- كوّن الندماء طبقة مهمة في البلاط الساساني ، فكانت لهم رسومهم الخاصة والتي أثر بعضها على بلاط الخلفاء المسلمين فيما بعد.
- ارتبط الندماء بشخص الإمبراطور والقيصر عند اليونان والرومان ، حتى أصبحوا من خاصتهم ومستشاريهم.
- ارتبط اسم النديم بالمزاح ، وقد أباح الإسلام المزاح ، على أن يراعى فيه الصدق ، ويتجنب فحش القول.

- لم يكن للخلفاء الراشدين ندماء بالمعنى الاصطلاحي ، ولكن كان لهم مستشارون يجالسونهم ويوجهوا لهم النصح والسداد.
- في العصر الأموي كان الخلفاء أول الأمر يستمعون في أوقات فراغهم إلى الشعراء ورواة الإخبار ، ثم تطور الأمر إلى الجلوس للمغنين من القيّان والجواري.
- كان أغلب الخلفاء المسلمين يحضرون مجالس الغناء واللهو من وراء ستارة كي لا يراه إذا طرب إلا خواص جواريه.
- كان بعض الخلفاء الأمويين والعباسيين انساقوا وراء نزواتهم وشهواتهم ، فجالسوا الندماء معظم الأوقات ، وشاركوهم الشراب واللذات.
- وبحكم قرب النديم من الخليفة ، كان لبعضهم تأثير على سياسة الدولة ، كما عمل بعضهم كجواسيس للخليفة.
- تباين تأثير الندماء على الخلفاء حسب قوة الخليفة وسطوته ، فلم يكن لهم تأثير كبير على الخلفاء: أبي العباس السفاح والمنصور والمعتضد والقاهر ، بينما كان لهم تأثير كبير على الخلفاء: الواثق والمتوكل والمقتدر.
- إن ظاهرة اتخاذ الندماء من قبل الخلفاء اضمحلت بدخول البويهيين بغداد ، فلم يكن الخليفة له سيطرة على مقدرات الدولة السياسية والاقتصادية ، ولهذا قيل أن آخر من اتخذ الندماء من الخلفاء هو الراضي بالله.

المصادر والمراجع

أولاً – المصادر الأولية :-

■ القرآن الكريم.

■ الآبي، أبو سعد منصور بن الحسين الرازي (ت ٤٢١هـ)

١- (نثر الدر في المحاضرات)، تحقيق خالد عبد الغني محفوظ، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت ٢٠٠٤م.

■ الأبشيهي، أبو الفتح شهاب الدين محمد بن أحمد (ت٨٥٢هـ)

٢- (المستطرف في كل فن مستظرف)، تحقيق مفيد محمد قميحة ،ط٢، دار الكتب العلمية- بيروت١٩٨٦م.

■ ابن الأثير ،عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ)

٣- (الكامل في التاريخ)، دار الفكر، بيروت ١٩٧٩ م.

٤- (اللباب في تهذيب الأنساب)، دار صادر، بيروت١٩٨٠م.

■ ابن الأثير، نصر الله بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت٦٣٧هـ)

٥- (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية – بيروت١٤٢٠ه.

■ أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ)

٦- (الأغاني)، تحقيق علي مهنا وسمير جابر، دار الفكر- بيرو ت د.ت.

٧- (الإماء الشواعر)، تحقيق د. جليل العطية، ط١، دار النضال- بيروت ١٩٨٤م.

■ الأفطسي، أبو جعفر محمد بن محمد بن هبة الله (ت بعد ٥١٥هـ)

٨- (المجموع اللفيف)، ط١، دار الغرب الإسلامي – بيروت ١٤٢٥هـ.

■ الأماسي ،محمد بن قاسم بن يعقوب (ت ٩٤٠هـ)

٩- (روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار)، ط١، دار القلم، حلب ١٤٢٣ه.

■ الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد (ت٥٧٧هـ)

(نزهة الألباء في طبقات الأدباء)، تحقيق إبراهيم السامرائي، ط٣، مكتبة المنار – الأردن ١٩٨٥م.

■ البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ)

١٠- (صحيح البخاري)، دار الآفاق العربية ،ط ١ - القاهرة ٢٠٠٤م.

■ البغدادي، بهاء الدين محمد بن الحسن بن محمد (ت٥٦٢هـ)

١١- (التذكرة الحمدونية)، ط١، دار صادر – بيروت ١٤١٧هـ.

■ البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز(ت ٤٨٧هـ)

١٢- (فصل المقال في شرح كتاب الأمثال) ،تحقيق د. إحسان عباس، ط١، مؤسسة الرسالة – بيروت١٩٧٤م.

■ الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩هـ)

١٣- (الإعجاز والإيجاز)، ط٣، دار الغصون – بيروت ١٩٨٥م.

١٤- (خاص الخواص) تحقيق حسن الأمين، دار ومكتبة الحياة – بيروت د.ت.

(اللطائف والظرائف)، دار المناهل – بيروت د.ت.

■ الجاحظ، أبو عمرو عثمان بن محجوب (ت ٢٥٥هـ)

١٥- (البيان والتبيين)، تحقيق عبد السلام هارون، ط٧، مكتبة الخانجي- القاهرة ١٩٨٨م.

١٦- (التاج في أخلاق الملوك) ،تحقيق أحمد زكي باشا ،ط١، المطبعة الأميرية- القاهرة ١٩١٤م.

١٧- (الحيوان)، ط٢، دار الكتب العلمية – بيروت١٤٢٤هـ.

١٨- (الرسائل الأدبية)، تحقيق عبد السلام محمد هارون مكتبة الخانجي –القاهرة ١٩٦٤م.

■ الجندي، محمد بن يوسف بن يعقوب (ت٧٣٢هـ)

١٩- (السلوك في طبقات العلماء والملوك)، تحقيق محمد الحوالي ،ط١، مكتبة الإرشاد – صنعاء ١٩٩٥م.

■ التنوخي، أبو علي المحسن بن علي بن أبي الفهم (ت٣٨٤هـ)

٢٠- (نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة) ،ط١ – بيروت ١٣٩١هـ.

■ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد(ت٥٩٧هـ)

٢١- (بستان الواعظين ورياض السامعين)، تحقيق أيمن البحيري، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت١٩٩٨م.

٢٢- (المنتظم في تاريخ الملوك والأمم)، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت ١٩٩٢م.

■ ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي(ت ٣٥٤هـ)

٢٣- (روضة العقلاء ونزهة الفضلاء)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ،دار الكتب العلمية – بيروت د.ت.

■ ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية (ت٢٤٥هـ)

٢٤- (المحبر)، تحقيق إيلزة ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة – بيروت د.ت

٢٥- (المنمق في أخبار قريش)، تحقيق خورشيد أحمد فاروق، ط١، عالم الكتب– بيروت ١٩٨٥م.

■ ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ)

٢٦- (الإصابة في تمييز الصحابة)، تحقيق صدقي جميل العطار، ط١، دار الفكر- بيروت ٢٠٠١م.

■ ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر علي بن عبد الله (ت ٨٣٧هـ)

٢٧- (خزانة الأدب وغاية الأرب)، دار ومكتبة الهلال، بيروت ٢٠٠٤م.

■ الحصري، إبراهيم بن علي بن تيم الأنصاري(ت٤٥٣ هـ)

٢٨- (جمع الجواهر في الملح والنوادر)، ط١ – بيروت د.ت.

٢٩- (زهر الآداب وثمر الألباب) ،دار الجيل – بيروت د.ت.

■ ابن حنبل، أبو عبد الله بن حنبل الشيباني(ت٢٤١هـ)

٣٠- (المسند)، مؤسسة قرطبة- القاهرة د.ت.

■ أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (ت نحو٤٠٠هـ) ٣١- (البصائر والذخائر)، تحقيق وداد القاضي، ط١، دار صادر – بيروت ١٩٨٨م.

٣٢- (الصداقة والصديق)، تحقيق إبراهيم الكيلاني، ط١، دار الفكر المعاصر – دمشق١٩٨٨م.

■ الخزرجي، علي بن ظافر بن حسين الأزدي(ت ٦١٣هـ)

٣٣- (بدائع البدائة)، ط١ – مصر ١٨٦١م.

■ الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت(ت٤٦٣هـ)

٣٤- (تاريخ بغداد)، دار الكتب العلمية- بيروت د.ت.

■ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر(ت٦٨١هـ)

٣٥- (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان)، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر- بيروت د.ت.

■ ابن خياط، أبو عمر خليفة شباب العصفري(ت٢٤٠هـ)

٣٦- (التاريخ)، تحقيق د. سهيل زكار، دار الفكر – بيروت ١٩٩٣م.

■ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان(ت٧٤٨هـ)

٣٧- (تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام)، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري،ط١، دار الكتاب العربي- بيروت١٩٨٧م.

٣٨- (سير أعلام النبلاء)، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، ط٩،مؤسسة الرسالة- بيروت ١٤١٣هـ.
■ ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد (ت٧٩٥هـ)
٣٩- (جامع العلوم والحكم)، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، ط٢، دار السلام – بيروت ٢٠٠٤م.
■ ابن رشيق، أبو الحسن علي بن ظافر بن حسين (ت٦١٣هـ)
٤٠- (بدائع البدائه) ، ط١ – مصر ١٨٦١م.
■ الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ)
٤١- (ربيع الأبرار ونصوص الأخيار)، ط١، مؤسسة الأعلمي – بيروت ١٤١٢هـ.
■ السراج، جعفر بن أحمد بن الحسين (ت٥٠٠هـ)
٤٢- (مصارع العشاق)، دار صادر – بيروت د.ت.
■ ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري(ت٢٣٠هـ)
٤٣- (الطبقات الكبرى)، تحقيق زياد محمد منصور، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة ١٤٠٨هـ.
٤٤- (الطبقات الكبرى- متمم الصحابة)، تحقيق محمد بن صامل السلمي ،ط١، مكتبة الصديق – الطائف ١٩٩٣م.
■ السفاريني ،أبو العون محمد بن أحمد (ت ١١٨٨هـ)
٤٥- (غذاء الألباب)، ط١، مؤسسة قرطبة – مصر ١٩٩٣م.
■ السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن بن علي (ت٩١١هـ)
٤٦- (تاريخ الخلفاء)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط١، مطبعة السعادة – مصر١٩٥٢م.
■ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك(ت٧٦٤هـ)
٤٧- (الوافي بالوفيات)، تحقيق أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي- بيروت٢٠٠٠م.
■ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)
٤٨- (تاريخ الأمم والملوك) دار الكتب العلمية – بيروت د.ت.
■ ابن الطقطقي، فخر الدين محمد بن علي بن طباطبا العلوي (ت٧٠٩هـ)
٤٩- (الفخري في الآداب السلطانية)، دار صادر – بيروت د.ت.
■ ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر (ت ٢٨٠هـ)
٥٠- (كتاب بغداد)، تحقيق السيد عزت الحسيني، ط٣، مكتبة الخانجي – القاهرة ٢٠٠٢م.

■ ابن أبي عاصم، أبو بكر أحمد بن عمرو الضحاك (ت٢٨٧هـ)
٥١- (السنة)، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط١، المكتب الإسلامي- بيروت ١٤٠٠هـ.
■ العاصمي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي (ت١١١١هـ)
٥٢- (سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي)، تحقيق عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية- بيروت ١٩٩٨م.
■ ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي (ت٣٢٨هـ)
٥٣ - (العقد الفريد)، ط٣، دار إحياء التراث العربي- بيروت١٩٩٩م.
٥٤- (طبائع النساء)، مكتبة القرآن – القاهرة د.ت.
■ ابن عبد الهادي، يوسف بن حسن بن أحمد (ت ٩٠٩هـ)
٥٥- (محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، تحقيق عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن، ط١ – المدينة المنورة ٢٠٠٠م.
■ ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله (ت٦٦٠هـ)
٥٦- (بغية الطلب في تاريخ حلب)، تحقيق د. سهيل زكار، دار الفكر- بيروت د. ت.
■ أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله (ت٣٩٥هـ)
٥٧- (الأوائل)، ط١، دار البشير – طنطن ١٤٠٨هـ.
٥٨- (ديوان المعاني)، دار الجيل – بيروت د.ت.
٥٩- (الصناعتين الكتابة والشعر)، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم- بيروت ١٤١٩هـ.
■ ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد (ت١٠٨٩هـ)
٦٠- (شذرات الذهب في أخبار من ذهب)، دار إحياء التراث العربي – بيروت د.ت.
■ ابن العمراني، محمد بن علي (ت ٥٨٠هـ)
٦١- الأنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم السامرائي، ط١، القاهرة، ٢٠٠١م.
■ الغرناطي، أبو بكر محمد بن عاصم القيسي (ت٨٢٩هـ)
٦٢- (حدائق الأزهر)، ط١- بيروت د.ت.
■ الغزولي ،علي بن عبد الله البهائي (ت ٨١٥هـ)
٦٣- (مطالع البدور ومنازل السرور) – القاهرة د.ت.
■ أبو الفداء ،عماد الدين إسماعيل بن علي (ت٧٣٢هـ)
٦٤- (المختصر في أخبار البشر)، ط١، المطبعة الحسينية بمصر- القاهرة د.ت.
■ الفردوسي، أبو القاسم (ت ٤١١هـ)
٦٥- الشاهنامه، ترجمة الفتح بن علي بن البنداري، تحقيق عبد الوهاب عزام، الهيئة المصرية

العامة للكتاب، ط٢، ١٩٩٣م.
■ ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري(ت٢٧٦هـ)
٦٦- (عيون الأخبار)، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٨هـ.
٦٧- (الشعر والشعراء)، دار الحديث – القاهرة ١٤٢٣هـ.
٦٨- (المعارف)، تحقيق د. ثروت عكاشة، دار المعارف- القاهرة د.ت.
■ القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب (ت ١٧٠هـ)
٦٩- (جمهرة أشعار العرب)، تحقيق علي محمد البجادي، ط١، نهضة مصر – القاهرة د.ت.
■ القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الغزاري(ت٨٢١هـ)
٧٠ - (صبح الأعشى في صناعة الإنشا)، تح عبد القادر زكار، وزارة الثقافة- دمشق١٩٨١م.
■ القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم (ت٤٢٥هـ)
٧١- (قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور)، - بيروت د. ت.
■ الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد (ت٧٦٤هـ)
٧٢- (فوات الوفيات)، تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود ،ط١، دار الكتب العلمية – بيروت ٢٠٠٠م.
■ كشاجم، أبو الفتح محمود بن الحسين
٧٣- (أدب النديم)، ط١- مصر ١٨٧٣م.
■ ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ)
٧٤- (سنن ابن ماجة)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – مصر د.ت.
■ الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت ٤٥٠هـ)
٧٥- (أدب الدنيا والدين)، دار مكتبة الحياة – بيروت ١٩٨٦م.
■ ابن ماكولا، أبو نصر علي بن هبة الله (ت ٤٧٥هـ)
٧٦- (الإكمال)، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٩٠م.
■ المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ)
٧٧- (الكامل في اللغة والأدب)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، دار الفكر العربي – القاهرة ١٩٩٧م.
■ المرزباني، أبو عبيد الله بن محمد بن عمران (ت٣٨٨هـ)
٧٨- (معجم الشعراء)، تصحيح وتعليق د.ف. كرنكو، ط٢ دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٨٢م.
٧٩- (الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء)، ط١ – بيروت د.ت.

■ المزي، أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن (ت٧٤٢هـ)

٨٠- (تهذيب الكمال)، تحقيق د. بشار عواد معروف، ط١، مؤسسة الرسالة- بيروت١٩٨٠م.

■ ابن المعتز، عبد الله بن محمد العباسي (ت٢٩٦هـ)

٨١- (طبقات الشعراء)، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ط٣، دار المعارف- القاهرة د.ت.

■ المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ)

٨٢- (مروج الذهب ومعادن الجوهر)، اعتنى بها، يوسف البقاعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠١١م.

■ مسلم، أبو الحسين بن الحجاج النيسابوري(ت٢٦١هـ)

٨٣- (صحيح مسلم)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت ٢٠٠٠م.

■ مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد (ت٤٢١هـ)

٨٤- (تجارب الأمم وتعاقب الهمم)، تحقيق أبو القاسم إمامي، ط٢ – طهران ٢٠٠٠م.

■ ابن معصوم ،علي بن أحمد بن محمد بن معصوم الحسني(ت ١١١٩هـ)

٨٥- (أنوار الربيع في أنواع البديع)- بيروت د.ت.

■ الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم (٥١٨هـ)

٨٦- (مجمع الأمثال)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة – بيروت د.ت.

■ النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت٣٠٣هـ)

٨٧- (سنن النسائي الكبرى)، تحقيق عبد الغفار البنداري وسيد كسروي حسن، ط١،دار الكتب العلمية- بيروت١٩٩١م.

■ النشابي، أبو المجد أسعد بن إبراهيم الشيباني (ت٦٥٧هـ)

٨٨- (المذاكرة في ألقاب الشعراء)، ط١ – بيروت د.ت.

■ النهرواني ،أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى (ت ٣٩٠هـ)

٨٩- (الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي)، تحقيق عبد الكريم سامي الجندي، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت ٢٠٠٥م.

■ النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف(ت٦٧٦هـ)

٩٠- (تهذيب الأسماء واللغات)، ط١، دار الكتب العلمية – بيروت د.ت.

■ النويري ،أحمد بن عبد الوهاب بن محمد (ت٧٣٣هـ)

٩١- (نهاية الأرب في فنون الأدب)، ط١، دار الكتب والوثائق القومية- القاهرة ١٤٢٣هـ.

■ الوزير المغربي، أبو القاسم الحسين بن علي بن حسين (ت ٤١٨هـ)

٩٢- (أدب الخواص)، تحقيق حمد الجاسر دار اليمامة – الرياض ١٩٨٠م.

■ الوطواط، أبو إسحاق برهان الدين محمد بن إبراهيم (ت٧١٨هـ)

٩٣- (غرر الخصائص الواضحة) ،ضبط وتحقيق وتعليق إبراهيم شمس الدين ،ط١، دار الكتب العلمية – بيروت ٢٠٠٨م.

■ اليافعي، أبي محمد عبد الله بن أسعد بن علي(ت٧٦٨هـ)

٩٤- (مرآة الجنان وعبرة اليقظان)، وضع حواشيه خليل المنصور،ط١، دار الكتب العلمية- بيروت ١٩٩٧م.

■ ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي(ت٦٢٦هـ)

٩٥- (معجم الأدباء)، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت ١٩٩١م.

٩٦- معجم البلدان، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥ م.

■ اليوسي، نور الدين الحسن بن مسعود بن محمد (ت ١١٠٢هـ)

٩٧- (المحاضرات في اللغة والأدب) – طبعة مصر د.ت.

ثانياً- المراجع الثانوية:-

■ خلاف، عبد الوهاب

٩٨- (السياسة الشرعية في الشؤون الدستورية)، دار القلم – بيروت ١٩٨٨م.

■ رحمة الله، مليحة

٩٩- (الحالة الاجتماعية في العراق في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة)، مطبعة الزهراء – بغداد ١٩٧٠م.

■ الزركلي، خير الدين بن محمود (ت ١٣٩٦هـ)

١٠٠- (الأعلام)، ط١٥، دار العلم للملايين- بيروت ٢٠٠٢م.

■ زكار، سهيل

١٠١- (التاريخ عند العرب والبحث عن مدرسة عربية لتحليل التاريخ)، مجلة قضايا عربية، العدد٢ – بيروت ١٩٨٣م.

■ سرحان، جمال محمد

١٠٢- (المسامرة والمنادمة عند العرب حتى القرن الرابع الهجري)، رسالة ماجستير غير منشورة – بيروت ١٩٧٨م.

■ السلمان، عبد العزيز محمد (ت ١٤٢٠هـ)

١٠٣- (موارد الظمآن لدروس الزمان) ،- الرياض ١٤٢٤هـ.

■ شيخو، رزق الله

١٠٤- (شعراء النصرانية)، مطبعة الآباء اليسوعيين – بيروت١٩٨٠م.

■ الصلابي، علي بن محمد

١٠٥- (أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب)، ط١، مكتبة الصحابة – الشارقة ٢٠٠٤م.

١٠٦- (تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان)، ط١ – القاهرة ٢٠٠٢م.

١٠٧- (فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب)، ط١ – الرياض د.ت.

■ ضيف، شوقي (ت ١٤٢٦هـ)

١٠٨- (الفن ومذاهبه في الشعر العربي)، ط١٢، دار المعارف – مصر د.ت.

■ علي، جواد

١٠٩- (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام)، دار الساقي، ط٤ – بيروت٢٠٠١م.

■ العمري، ياسين بن خير الله بن محمود (ت١٢٣٢هـ)

١١٠- (الروضة الفيحاء في أعلام النساء)، ط١ – بيروت. د.ت.

ثالثاً- شبكة الأنترنت.

■ الموقع الالكتروني: www.mmlkty.com

محتويات الكتاب